obeikandl.com

رغبة

الكتاب : رغبة
المؤلف : هبه كمال
تصميم الغلاف : مي يسري
تدقيق لغوي : محسن عباس غريب
رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٦٥٣٩
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٤٣٦-٨٠-٠
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

رغبة

رواية لـ

هبه كمال

للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

نعشق الدنيا , تبهرنا ألوان الحياة , نسعى دائما للمزيد, لا نقبل التضحية , نريد كل شيء ..

لكن هل فى الحب المزيد ؟!

هل تهدينا الحياة شريكا للروح فنطمع فى مزيد ؟!

هل نكترث للأماكن غير مبالين بمن فيها ؟!

فتبقى الأماكن كما هى لكن يهجرها نور ورائحة من كانوا فيها , فننتبه وقد صمت وقع خطوات من كانوا هناك فيها !

هكذا نحن أحيانا ..

نمقت الشيء وهو ملك لنا و نهرب منه , ثم ننشده و نشكو حرمانه !!

obeikandl.com

obeikandl.com

الثانية بعد منتصف الليل فى القاهرة يرن هاتف نورا المحمول , وكأن رناته جاءت لتكسر سكون ليلة حارة صامتة إلا من صوت برنامج التوك شو ,وما يستعرضه من أخبار وأحداث تجرى فى مصر , فزعت نورا من صوت هاتفها لم يسبق وأن رن هاتفها ،ولو عن طريق الخطأ فى مثل هذا الوقت , تأملت رقم المتصل إنه رقم يوسف !

ما الذى جعله يهاتفها فى مثل هذا الوقت , أو يهاتفها من الأساس , وهو لم يفعلها من قبل إلا مرتين على الأكثر , و كان و قد أخبرها بميعاد اتصاله مسبقا فى رسالة .

نورا : ألو

قالتها وكأن صوتها يخجل أن ينطق فى مثل هذه الساعة المتأخرة

يوسف : كيفك .. كنت عم شوف الأخبار و اللى بيحصل فى مصر اليوم فما قدرت أمسك حالى إلا وماسك التليفون وبكلمك لأطمن عليكى , كيفك والولاد ؟!

صمت يوسف قليلا ثم عاود الحديث فى كل شىء و أى شىء، وكأنه يلتف بالحديث حول شىء يخفيه و هو السبب الحقيقى فى اتصاله .

يوسف :مشتاقلك , كتير مشتاقلك , وكتير قلقت عليكى .

هذا ما نطق به دون أى إنذار!

يوسف : آه صديقتى منشان لا تزعلى , أنا فقط مشتاق لصديقتى , عم تسمعينى , نورا وينك ؟

نورا : معاك .

يوسف : عن جد معى , بدك تكونى معى ؟

نورا : يوسف فى إيه بدى إيه.

يوسف : لا ولا شىء .

نورا : وليه ما بعتش رسالة أحسن ؟

يوسف : آه رسالة , طيب لا تنزعجى لما تشوفى رسايلى , أصلا اتكسروا إيديا وأنا عم بكتبلك لتفتحى وتردى عليا , ولو صدفة , أصلا وينك مختفية اليوم وشو عم تعملى عافكرة .

نورا : مفيش الولاد ناموا وأنا شفت الأخبار و مش جايلى نوم و ما بين البلكونة و التليفزيون وبس , الليلة شديدة الحر والرطوبة بمصر جدا .

يوسف : بس لو أنت مو لحالك ما بيفرق معك لا حر ولا غيرة , لما بنكون لحالنا يا نورا بنبدأ ننتبه للأشياءإللى حوالينا , لكن ولو فى

obeikandl.com

شريك روح بنتقاسم معه كل شىء و ما بتفرق معنا أى ظروف أو أحوال صدقينى .

نورا : يلا روح نام أنا طولت عليك ,وكمان الوقت اتأخر .

يوسف : أنتِ ما أحلى هروبك , طيب ديرى بالك عاحالك وعالولاد , ولاتغيبى عن جد بقلق عليكى .

أغلقت هاتفها و كل وجهها يبتسم ناسيا الحر و ما يحدث فى التحرير و عند قصر الاتحادية .

كم هو جميل أن يهتم أحد لغيابك و يقلقه هذا الغياب فيسأل عنك , لكن تحت أى مسمى هذا الشىء ؟ أهى صداقة كما تطلب نورا من يوسف أم ماذا ؟ وهل كل شىء لابد من تسميته وتصنيفه حتى المشاعر والعلاقات ؟ هل العلاقات لابد من أن تصنف ؟!

لكن بالرغم مما يدور بصندوق رأسها من أسئلة إلا أن مكالمة يوسف داعبت أنوثتها التى كادت هى أن تنساها , من سنين وهى لم تشعر بهذا الاحساس ؛ حتى وزوجها يعيش معها لم تشعر أنه تلهف لغيابها أو فرق معه وجودها , هى تدرك جيدا أنها أم و امرأة شرقية لكن لم تنس أيضا أنها أنثى , و دائما كان عقلها يطحنها بين حجر تفكيره فى واجبها كأم و بين حجر أنوثتها .

أخذها إعصار أفكارها إلى هشام الذى لم تشعر أثناء سنين زواجهم أنه يخشى أن يخسرها , كما لم تشعر يوما أنه رجلها , دائما كان يفصلهما شيء .

كانت تصفه بربان السفينة لكن سفينته دائمة الإبحار , تجوب الموانى ولا ترسى على ميناء نورا , تزوجته لتكون فى حياته لا شيء .

كانت تتمناه ظلا لها تجلس فى حضرته فيزول التعب , بل على العكس كان هو دوما مصدر ألمها .

تتنهد نورا و تعتم عيناها و تغوص فى شرودها ،فكم تمنت أن تعيش حياة غير ما هى عليه الآن , لكن كانت تتمنى الحياة تتغير لكن معه و به وله , أما الأن فهى تتمنى تغييرها بدونه و كأنها لن تعطيه دور فيها .

و كلما غاصت أعمق لم تر من هشام حلوا يذكر له فيشفع لغضبها الدفين ناحيته , كم خذلها هذا الرجل وهى التى اختارته بعقلها وقلبها معا , كم تمنت أن تكمل حياتها معه , وقفت عند هذه الأمنية وانتبهت أن حياتها معه لا هى مستمرة ولا هى منتهية هى ثابتة ؛وكأنك ثبَّت فيلماً تشاهده على مشهد معين وتركت الشاشة ونسيت من الأساس أنك تشاهد فيلماً أو أن جهاز التلفاز مدار.

هل تمنت نورا الاستمرار مع هشام لكونه أب لأبنائها أحمد وياسمين ؛ أم لأنها تحبه وهذا ما هو تحت قشرة غضبها منه , كم تبنت مبدأ الصفحة الجديدة مع هذا الرجل ،وكم مزق صفحاتها الجديدة مبعثرا

فتات أوراقها فى عاصفة جموح رغباته ما هذا النوع المختلف من الرجال ؟!

انتهت أسئلتها لنفسها بجملة واحدة التقطتها من بين إعصار رأسها .

هو نوع من الرجال لم تعرفه , ولم تكن تتمناه زوجا لو كانت عرفته على حقيقته قبل أن تتزوجه .

هذا الهشام الذى يكبرها بعشرين عاما , المهندس الناجح , الزائع الصيت , لم يكن وسيما لكنه يعرف كيف يهتم بنفسه , لا لشىء ؛ وإنما ليجذب إليه كل أنثى تقع فى طريقه , هو المهاجر للغرب حاملا معه كل ما فى جعبة الشرق , حمل معه كل ما كان ينتقده و لكن دون أن يدرى أو يراه فهو مخبأ داخله .

ولم يضيع أى فرصة فى عمل علاقة بغض النظر عن كون من يرتبط بهن أجمل من نورا أو أصغر , هو يلهو للهو دون أى مقاييس معينة أو شروط محددة , فهو مدمن نساء , و المجتمع الذى نشأ فيه لا يدين ذلك من وجهة نظره و أمثاله من الرجال , فى مقابل أنه يؤدى واجباته الزوجية من انفاق و شكليات اجتماعية , و الفكرة فى أن الزواج انفاق و شكليات اجتماعية نتوارثها و تتفشى ولا لوم على أحد و الحياة تستمر !

تنام نورا ساعات قليلة لتستيقظ صباحا مع أبنائها أحمد و ياسمين , لتبدأ يومها معهم و كأنها أخت لهم وأم وأب و صديقة و كل شىء , و كعادة أحمد اليومية يسألها ..

" ماما هو بابا هيجى إمتى ؟"

"مش عارفة يا حبيبى"

"طيب كلميه"

"حاضر"

وترد ياسمين : "أنتِ مش هتكلميه أنتِ بتقولى كده وخلاص "

" لأ يا ياسمين أنا بكلمة بس بيكون مشغول ومش بيرد على التليفون"

ينتهى الأولاد من حديثهم وسؤالهم عن والدهم الذى أصبح كالروتين , يكملا إفطارهما , و تصمت نورا , هى وحدها التى تعلم أنه لا يرد لأنهم لا يعنيا له شيئا , فهو دائم البحث عن جديد , وهى تعلم يقينا أنه لن يعيش وحيدا يتذكرهم و يهاتفهم يوميا أو حتى أسبوعيا من نيويورك , فهى متأكدة أن هناك ما هو أهم منهم يشغله , لكن كان هناك شىء واحد يعزى كرامتها كأنثى؛ أنه لم يتركها معلقة هى وأبنائه من أجل حبه لامرأة معينه بذاتها ولكنه دائم التنقل من واحدة لأخرى و ما بين أكثر من امرأة فى نفس الوقت، فهو ماهر فى الاحتفاظ بأكثر من علاقة فى وقت واحد .

obeikandl.com

كانت المسافة تتباعد بينهم تلقائيا دون تدخل من اى منهما فهى فى كل مرة تحاول الاتصال به تكتفى بالاتصال به مرة واحدة و تغلق مستريحة الضمير أنها حاولت و هو لم يجيب , و هو كان يهاتفها مرة كل شهرين أو ربما أكثر, مكالمة لا تتجاوز الخمسة دقائق .

وكم كان ذكاء منه ألا تتعدى مدة المكالمة حدود السلام السطحى ،وكأنك توقع باسمك فقط لتثبت حضورك فى نفس لحظة انصرافك , وكان حريصا على اختصار المكالمات حتى لا يعطى نورا الفرصة أن تسأله متى سيأتى , هل هو على استعداد لينتقلوا معه , لكنه لا يعلم أنها لن تسأل عن أشياء هى تعرف إجابتها جيدا , كما أنها تعرف أنه لا يوجد ما يربط بينهم الآن ؛ لكن كل هذا هى تعرفه جيدا لكن لم تنطق به لأحد فقط يدور بداخلها .

وعلى صوت الصغيرة ياسمين تفيق نورا من شرودها , فتحتضنها و تقبلها و تطيل فى العناق ؛فكم مريح العناق مع أقرب الناس لقلوبنا ،و كم هو برىء عناق طفل ؛فعناق الصغار ربما نحتاج له أكثر منهم .

و أمام أولادها تنسى صراع الأنثى داخلها ولا يشغلها إلا هم و ابتساماتهم ولا تذكر من نورا إلا الأم .

تمر الأيام تشبه بعضها , و نورا تقتل نفسها من أجل أبنائها فتذوب فى حياتهم البريئة الصغيرة ناسية نفسها وآلامها , و من وقت للآخر يحدثها يوسف تليفونيا أو فى رسائله وكأنه مسكن لها , وتطلع على الأخبار فى

مصر والعالم التى هى مرة مثل أيامها , وتكتب بعض ما يمر على بالها من جميل وعميق على تويتر أو فيسبوك فيزيد متابعيها يوم بعد يوم .

وكل ذلك لابد وأن يتخلله كلمة أو وردة أو جملة أو ابتسامة من يوسف تسعدها طيلة اليوم بأكمله , فهو صاحب ذوق ورقة لم ترها من قبل .

ولكن كان هناك سؤال ينبش فى شعورها تجاهه؛ وهو ما آخر ما تشعر به تجاهه ؟ وهل يبادلها نفس المشاعر التى لا تعرف لها اسم ولا تصنيف ؟ , وهل هو على ما يظهره لها ؟ فهى اعتادت على مزدوجى الوجوه , و كانت كثيرا ما تأخذ قرارا بأنها لن ترد عليه و تنهى هذا اللاشىء بينهما و كل ما يرمى إليه تلميحا ، وكل ما تتمناه هى فى صمت.

إلا أن هناك شىء ما يخدرها و تقف ثابته أمام هذا الرجل الذى لم يتجاوز حدود اللائق معها , ولم يحرجها بأى تصرف أو كلمة عن قصد أو عن غير قصد , فهو يرسل لها شعورا، وهى تستقبل هذا الشعور و فقط , فتبتسم وتصمت وتمضى مكتفية بسعادة محلقة عاليا لم تنزل للواقع , متمنية من القدر ومتوسلة إليه يتدخل ليرسم هو غدها بألوانه ماسحا تعاريج الماضى أسود الخط .

"صباح الخير نونو", هكذا تناديها مها , علاقة نورا بمها علاقة غريبة ولكنها مميزة , مها فى الثانية والاربعين من العمر , على قدر عالٍ من الجمال مقارنة بمن هن فى مثل سنها , و تسير بجسد ممشوق لكن لا

يخلو من عمليات التجميل , و وجهها هو الجرأة فى حد ذاتها ؛ فهى امرأة قوية وجريئة و تتحدث مع نورا بكل صراحة ودون خجل من يوم أن تعرفت عليها فى صالة النادى الرياضية , فحدثتها عن زيجاتها الاثنتين السابقة ،وكم هى متشوقة لزواج ثالث ناضج ومستمر , وكم هى نادمة على قرارها بعدم الانجاب فى الماضى , و لو رجعت بها الأيام لأنجبت أكثر من طفل بالتأكيد , وكانت نورا بالرغم من اختلافها مع مها فى الشخصية والطباع إلا أنها أحبتها وارتبطت بها عن قرب ؛وكأن الله أرسلها لها من السماء وهى مع اختلافها إلا أنها تكملها و فى مثل ظروفها فهى وحيدة تعيش بمفردها و أبواها متوفيان ومن يعاشرها عن قرب يدرك أنها حنونة و كريمة فى المادة والعاطفة ،وهى كانت كذلك مع نورا وأبنائها وكأنها أخت لم تلدها أم .

وبصوت هادىء وبه بحة مدخن ونعومة أنثى مراوغة فى آن واحد , تهمس مها لنورا وهى تسير بجانبها فى تراك النادى العريق نادى الصفوة كما تسميه مها :

عارفة يا نونو أنا حاسة إن الراجل اللى هناك ده بس متبصيش نفسه يتعرف عليكِ .

نورا : أنا .. ليه !!

مها : اسمعى كلام مخضرمة فى الرجال وبكره تشوفى , وليه بكره ..

تتألم مها من قدمها التى التوت أثناء سيرها، و تقترب من مكان حيث يجلس الرجل لترتكن على شىء , وينهض الرجل مسرعا ليحضر كرسى لتجلس عليه و يطلب أمن النادى ليحضر سيارة النادى الخاصة إلى الداخل و يستقلها مع مها ونورا إلى بوابة النادى الرئيسية ومنها إلى سيارته الخاصة وإلى أقرب مستشفى , و الكلام فى منتهى السرعة يدور بينهم هم الثلاثة و كأنه فيلم تشاهده , أوصلهم إلى حجرة الكشف الخاصة و هم فى انتظار الطبيب، و بالطبع تركهم الرجل وخرج من غرفة الكشف .

تبتسم مها فى مكر وهدوء و تقول لنورا هل رأيتى كم هو مهذب وكم هى فارهه سيارته , على فكرة يا نورا أنا قلبى حاسس إن دى بداية تعارف و علاقة طويلة .

تصمت نورا قليلا ، ثم تنفجر واصفة مها بأنها أقل فى تفكيرها وعقلها من سنها بعشرين عاما أو أكثر , يقطع حديثهم دخول الطبيب فتحبس نورا كلماتها ،و يسأل الطبيب مها عما حدث ويفحص قدمها و ساقها و يطمئنها ويلفها لها برباط ضاغط و ينصحها بالراحة ثم ينصرف , تتعكز مها على نورا مكملة دورها أمام من ينتظرهم فى الخارج .

سلامتك يا هانم وتقاطعه مها ..

"أنا مها الألفى , ودى صديقتى مدام نورا "

ويرحب بهما مجددا و يؤكد على سعادته بالتعارف عليهم و أسفه فى نفس الوقت على الموقف وما تعرضت مها له اليوم .

ويقدم نفسه هو أيضا " معتز شريف , دكتور أسنان " ويصر على اصطحابهم لشرب القهوة أو تناول شىء فى مكان ما و تغيير الجو العام و ما مروا به اليوم .

توافق مها على الفور دون تردد , ونورا ومن غير تفكير تعتذر وتسلم عليهم فى عجلة وتنصرف مسرعة و تقفز فى أول سيارة أجرة من أمام باب المستشفى عائدة إلى منزلها الى غرفة نومها تحديدا , مغلقة الباب عليها جالسة أمام كاتمة أسرارها ومن لا تخجل منها أبدا أمام مرآة الغرفة الكلاسيكية , باكية غاضبة صوتها يجهش بالبكاء و تعلو تشنجاتها ناقمة على واقعها المرير على زواجها الورقى , على من تركها مطمع لكل من يراها جميلة وحيدة , كان هذا ما يسيطر على تفكيرها حتى ولو لم يكن صحيح فهذا ما تعيش فيه و تصدقه .

تأتى البسمة لوجه نورا المبلل من البكاء فور رؤيتها لأحمد وياسمين وقد وصلا للمنزل وترى سيارة المدرسة تنزلهم أسفل المنزل، فتبتسم لهما و تتلاقى عيناها مع براءة أعينهما فتلوح لهما،وهما يردان لها الابتسامات بالضحكات العالية , و بسرعة يصعدا للمنزل وتفتح لهم مسرعة ليقفز أحمد بين ذراعي أمه، وتنهره ياسمين لكونه السابق دائما منتهزا فرق طوله عنها و هى الأميرة الناعمة قصيرة القامة , تفتح نورا ذراعيها لتدخل ياسمين و تحتضنهم سويا فى عناق ليس هناك ما

هو أدفأ ولا أروع منه , فهى لا يسعدها ولا يريحها إلا هذا العناق البرىء .

وكأن الكبار هم من يحتاجون لعناق الأطفال ليمدهم هذا العناق ببراءة و دفء وطاقة أقوى من آلام داخلهم .

تغرق مع أحمد وياسمين فى المذاكرة تارة واللعب و الحديث عن يومهم فى المدرسة تارة أخرى , الى أن يحل المساء و تنام ملائكة المنزل و يهدأ البيت من صوت ضحكاتهم و شجارهم فى بعض الأحيان , ويعود من جديد الليل ليخيم عليها بصمته ووحدته , ويكسر صمت هذه الليلة مكالمة هاتفية من مها .

نورا : ألو

مها : كده تمشى وتسيبينى بالطريقة دى !

نورا : مها أنا معرفش أمثل ولا أعمل أى حاجة من غير سبب ولا حتى أعرف أبدأ حاجة معرفش آخرها إيه.

مها : تمثلى ! طيب ما أنت يا نورا على طول بتمثلى و بتدفنى مشاعرك و معاهم جمالك و أحلى سنين عمرك وكل ده تحت اسم الواجب و الأمومة .

هو إيه الواجب يا نورا ؟ إن جوزك ناسيكى هنا أنت وأولاده , سيبك تربيهم وهو عايش حياته ولما يكبر و يحتاج خدمة بجد ممكن يفكر

يرجع أو يبعتلك تروحى , هو ده الواجب , عاوزه تفهمينى إنه عايش فى نيويورك على القيم والعادات و بينام ويصحى يفكر فيكى وفى أولاده , ولا الواجب إنك عارفه زى كل الدنيا ماهى عارفة إن هشام جوزك كل شهر مع واحدة ومن قبل ما يتجوزك وبعد جوازكم كمان , دا أنا سمعت عنه من النادى حتى من قبل ما نتعرف , و لا الواجب يحرم إنك ممكن تفكرى وتبدئى من جديد مع أب حقيقى للأولاد و زوج فعلا ليكى , لو هو ده الواجب يبأ قلته أحسن .

على العموم هو دكتور أسنان ومن عيلة كبيرة و ساكن فى المعادى ومطلق من ٥ سنين و معندوش أولاد وعنده ٣٨سنة و محترم جدا ومن النوع اللى أنت أكيد هتحبية و جاد و عارف عنك كل حاجة لكن للأسف عارف إنك مطلقة من هشام , شفتى يا نورا أى حد يشوف وضعك من غير ما يسأل هيعرف إنك مطلقة ؛ لأن الجواز معاشرة و عشرة وحياة وذكريات وتعاون وتحمل وحاجات كتير أنت بتعمى عينك عنها , كل اللى هو عاوزة إنه يعرفك من قريب أو بالأصح أنت تعرفيه من قريب هو وعيلته كمان لأنه جاد فى الموضوع , يا نورا ده راجل حقيقى ونوع نادر , و بالرغم إن سنه مش كبير إلا أنه عاقل و ناضج , وأنا بنصحك إنك تفكرى كويس وتاخدى قرارك , وأحب أفكرك أنى معاك فى أى شىء ودايما جنبك , أنت أختى الصغيرة وأنا عمرى ما هتخلى عنك أو أتغير من ناحيتك أنا ما صدقت لقيتك , تصبحى على خير وفكرى كويس .

هكذا وبصوت صارم و لهجه جادة لم تتعود نورا عليها من مها تركتها مها مشتته و صامتة لم تتفوه بكلمة واحدة لأنه وببساطة كل ما نطقت به مها واقع أو جزء من الواقع رغم قسوته

يبدأ يوم جديد و تشرق شمس جديدة و ضحكات جديدة لملائكة البيت , أما نورا فيومها مستمر من ليلة أمس ،فهى لم تغلق عينيها لحظة من أمس , لكن البداية الجديدة كانت بداخلها فبرغم ما عانته من حديث مها إلا أن الأمل عاد لداخلها؛و كأن حديث مها جرس عالى الصوت مزعج لكنه أفاقها من غفلة ما , كما أنها قتلت موضوع زواجها بهشام بحثا وتفكيرا طيلة ليلة أمس وحسمت أمرها ونهائيا مع هشام ومع نفسها ومع أمومتها ومع واجبها تجاه هذا البيت وتجاه نفسها , فهى أم وزوجة مهجورة دون أى سبب يعقل و امرأة جميلة وذكية و أنثى و إنسانة أولا و أخيرا ، ولها حق فى الحياة ما دامت تتنفس و خطواتها تضرب الأرض , هكذا حدثت نفسها و أنهت شلال التفكير فى رأسها .

و فور نزول أولادها أخذت مسرعة فى إنهاء أعمال المنزل , فهى المرتبة دوما المحبة لعمل كل شىء أو الإشراف عليه بنفسها , لم تتوقف لحظة وكأنها كالقطار عليها الوصول فى ميعاد معين محدد , أنهت عمل المنزل فى منتهى السرعة و ذهبت للدش الصباحى , أنهت حمامها أيضا مسرعة و وقفت أمام مرآة الحمام و أخذت زجاجة الكريم المرطب للجسم برائحة زهور البرتقال كم هى عاشقة لهذه الرائحة التى توقظ

كل خلية فى جسدها و تنعشها , بدأت فى دهان وتدليك جسدها ناظرة له فى المرآة نظرة المتفحص , وابتسمت لأنه فى حالة جيدة لا تنم عن حمل وولادة , لكن ما المختلف هذه المرة فهى يوميا تكرر نفس الروتين بعد الاستحمام تتناول الكريم وترطب جسدها غير مباليه به تماما لكن الغريب نظرتها لنفسها وكأنها تتعرف على هذا الجسد من جديد , اكتفت بالابتسامة و توجهت لخزانة ملابسها باحثة عن شيء مناسب ترتدية وبالفعل حصلت على ما تريد بعد فترة من البحث والتردد ووضعت القليل من المكياج مما أكسبها جمالا على جمالها و أحضرت حقيبة يدها و ارتدت حذاء خفيفا و تركت الغرفة متجهه للمطبخ لكن لم تجلس و تشغل التلفاز كعادتها بل اكتفت بعمل كوب صغير من النسكافية و سكبته فى مج كبير خاص بالخروج حيث يمكنها حمله والخروج به فهى لا تريد أن تضيع الوقت , نظرت لنفسها فى المرآة المقابلة لباب الشقة نظرة سريعة و أبدت إعجابها بنفسها واتسعت عيناها وكأنها لم تكن تعرف نفسها أو بالأحرى لم تكن تعرف أنها، وكما قالت لها مها إنها امرأة جميلة فعلا .

مها آه مها وكأنها تذكرتها الآن فخرجت من باب الشقة و أخرجت هاتفها لتحادث مها وهى فى الطريق .

نورا : صباح الفل .

مها : مين مش معقول !! دا أنا قلت فيها يومين لو مكنش أسبوع علشان تردى عليا .

نورا : صباح الخير يا مها ومن غير كلام عن إمبارح

مها : طيب صباح الفل والورد والمزاج الرايق , بس إيه الدوشة دى ؟

نورا : أنا لسة نازلة من البيت وعندى كام مشوار و بعدين هروح النادى تعالى وقابليني .

مها : خلاص الساعة ١٢ هكون هناك .

ذهبت نورا لمكتب للترجمة والطباعة وأعمال الكمبيوتر و طلبت من الفتاة فى المكتب أنها تريد كتابة C.V الخاص بها و بالفعل و فى أقل من ربع الساعة كانت الفتاة قد كتبت لنورا كل ما أملته عليها باللغة العربية مرة وأخرى بالإنجليزية .

أخذت نورا الأوراق و استقلت إحدى سيارات التاكسى متجهه إلى أحد المدارس التى كانت وقد شاهدت موقعها على الانترنت وهى تبحث عن مدرسة مناسبة لأولادها .

وبالفعل وصلت للمدرسة و فى الداخل سألت أين تستطيع تقديم طلب للحصول على وظيفة كمعلمة للابتدائى أو حتى الحضانة , و قدمت طلبها و بالفعل قابلت المدير المسئول عن التعيين و وافق على تعيينها فهى تجيد الانجليزية والفرنسية أيضا و لائقة من حيث المظهر والسن ،ولكن للاسف لا يمكنها تسلم العمل فى مثل هذا الوقت

والدراسة قد بدأت من أكثر من شهر , و هو يمكنه إلحاقها بفريق العمل معهم من بداية العام الدراسى المقبل ويسعدهم قبولها .

رحبت نورا و غادرت المدرسة , خرجت و سارت على قدميها لتخرج للطريق الخارجى فيمكنها أن تجد سيارة أجرة و أثناء سيرها فى الشارع وجدت مدرسة أخرى ملفته للنظر فى تصميم مبانيها و لكنها صغيرة نوعا ما بالنسبة للمدرسة أو مجموعة المدارس الدولية التى توا غادرتها نورا آخذه وعد بالتعيين فيها العام المقبل , فدخلت نورا وكأنها تسير فى اتجاة الدخول دون تفكير , و سألت فتاة فى الثلاثينات على الأكثر تجلس خلف شاشة الكمبيوتر فى مدخل المبنى الرئيسى للمدرسة , هل يمكنها تقديم طلب عمل ؟ و بالفعل قدمت لها السكرتيرة طلب العمل لتكتب بياناتها و عند انتهائها أخذته السكرتيرة و طلبت منها أن تنتظر دقائق قليلة , و ابتسمت نورا وقالت بالطبع .

جلست على أحد الكراسى تنتظر , ولفت نظرها طفل لم يتجاوز الثامنة يقف بجانب الحائط المقابل وعلى وجهه ملامح الخوف و عيناه بهما آثار بكاء , فابتسمت له فهرب بعينيه من نظرتها , ففتحت حقيبة يدها و أخرجت منها مجموعة من اللعب الصغيرة لشخصيات كرتونية يحبها كل الأولاد , منها الرجل العنكبوت والرجل الوطواط ,فاقترب الولد منها فأعطته منها ما أختاره وكان قد اختار الرجل العنكبوت , و أخرجت أيضا ملصقات بها نجوم و ألصقت له على يده

نجمة منهم باللون الأحمر ،وكان هو من اختار اللون أيضا , تبدلت ملامح الولد و بدأ فى الحديث معها و كأنه يعرفها جيدا و من زمن .

و جلس بجوارها و قالت هى له ..

أنا عارفة اسمك أنت "على"

و رد هو مسرعا ..

لا أنا مش على أنا "ياسين"

فضحكت لنجاح حيلتها لمعرفة اسمة , و سألته عن سبب عدم وجوده فى فصله , فقال لها لأنه معاقب بسبب ضربه لمحمد , و سألته لماذا تضرب صديقك , ورد هو لا ليس صديقى و لا أحبه فهو دائم الضحك على عندما أقرأ و أتلعثم , فلم تجد نفسها إلا و هى تضم ياسين و تمسح على رأسه و تؤكد له أن كل المتفوقين كانوا جميعهم أو بعض منهم يتلعثم فى القراءة , وليس هناك طفل يجيد فعل كل شىء ، و من يتعثر فى شىء أكيد لأن هناك شيئا آخر هو يجيده , والأهم من ذلك هو أنك تتلعثم لأنك تحاول وهذا أفضل من عدم القراءة من الأساس , و أثناء الحديث مع ياسين عادت السكرتيرة و طلبت منها الدخول لمقابلة المديرة المسئولة الأستاذة "علياء"

ودعت نورا ياسين وقبلته ووعدته أنهم يمكن أن يصبحا أصدقاء و كانت تقصد لو تم تعيينها فى المدرسة .

obeikandl.com

دلت السكرتيرة نورا على باب الحجرة و طرقت الباب و دخلت بالفعل , الحجرة صغيرة نوعا ما و لكنها دافئة وتتخللها أشعة الشمس و ضوء النهار وبها رائحة العشب آتية من شباك بها يطل على حديقة المدرسة ، قامت لاستقبالها من الكرسى الضخم الجلدى وراء مكتب كلاسيكى فخم سيدة فى أواسط الخمسينيات ملامحها جادة ،ولكنها تبتسم ابتسامة دافئة و مريحة لا يمكنك إلا أن تبادلها إياها , سلمت عليها و طلبت منها الجلوس على أحد الكراسى المقابلة لمكتبها .

و كانت قد اطلعت على بيانات نورا فى طلب التعيين , فسألتها هل سبق لها العمل كمعلمة ؟ و بمنتهى الصراحة أجابت نورا بالنفى , و تعلق "علياء" لماذا لم يسبق لك العمل نهائيا كما هو مكتوب , و أنت تجيدين اللغات بطلاقة و حاصلة على ليسانس الآداب لغة إنجليزية من أكثر من ٨ أعوام ؟ وترد نورا أن لها ظروف خاصة فهى ترعى أبنائها الاثنين و زوجها مسافر فهى المسئولة عنهم وكان الأولاد فى احتياج لها لذلك فضلت التفرغ لهم أما الآن فهم أكبر و يذهبون للمدرسة و أصبح الآن لديها وقت للعمل , و يزداد إعجاب السيدة بها و تقول لها فى نوع من المزاح ألا تخبر أحدا أنها متزوجة ولديها من الأبناء اثنين كى لا يحسدها أحد فهى تبدو وكأنها فى الثانية والعشرين على الأكثر وما زالت آنسة حديثة التخرج , و تكمل السيدة حديثها و تخبر نورا أنها رأت من خلف زجاج الباب الخاص بمكتبها ما دار بينها وبين ياسين و قررت أن تقبل طلبها للوظيفة قبل حتى أن تدخل للحديث معها , تطير نورا من الفرح و تشكر الأستاذة "علياء" على قرارها

بتعيينها و تسألها فى أى وقت يمكنها استلام العمل , فتبتسم السيدة و تخبرها بأن السكرتيرة سوف تأخذها لأستاذ خالد مسئول شئون المعلمين فى المدرسة و سوف يطلب منها الأوراق اللازمة و يشرح لها كل شىء من أول الراتب و المواعيد والأجازات وكل شىء , تنهض لتودعها و بالفعل تسلم عليها وتشد على يدها و تقول لها ..

" خلى بالك يا ميس نورا من ابننا ياسين ده حالة و محتاج تعامل بأسلوب خاص "

و تفرح نورا لحديث السيدة معها ومناداتها على أنها بالفعل أصبحت معلمة هنا فى المدرسة .

توجهت بالفعل لمكتب الأستاذ خالد و حدثها فى كل شىء و أنهت معه المقابلة على أنها من بداية الأسبوع المقبل سوف تتسلم العمل كمدرسة لغة إنجليزية للصفين الثانى والثالث الابتدائى فى القسم الأمريكى بالمدرسة ؛لأن أكثر من معلمة من الأجانب تركت المدرسة عائدة إلى بلدها بسبب أحداث مصر الأخيرة فأصبح العيش فى مصر بالنسبة لهم والتنقل من سكنهم للمدرسة فيه معاناة بالنسبة لهم كأجانب لذلك تركوا العمل و يأمل الأستاذ خالد أن تكون نورا مستمرة معهم و متحملة للمسئولية و تطمئنه نورا و توعده بأنها سوف تبذل أقصى جهد لكى تصبح على قدر المسئولية بها , و يعطيها بعض الكتب التى توضح المنهج المتبع و ما هو مطلوب منها و تنهى نورا بالفعل المقابلة و كأنها مقابلة مع نورا جديدة .

غادرت المدرسة و كأنها تطير على الأرض , وكأنها فى حلم , أهى أنهت إجراءات تعيينها بالفعل وأصبحت لها وظيفة فى أحد أكبر المدارس الدولية فى مصر وبراتب محترم .

لكن رأسها يدور به أكثر من شىء بخصوص ترتيب مواعيدها الجديدة و أولادها أيضا فهى لا تريد أن يؤثر عملها عليهم لكن هى تعلم جيدا أن كل ذلك فى بداية كل شىء جديد يضمه الشخص لجدول حياته وبعد قليل من الوقت يتأقلم و الوقت ينتظم من تلقاء نفسه وخاصة مع منظمة مثلها لا تقبل بأقل من إتقان كل شىء .

تستقل سيارة أجرة ولا تشعر بالوقت وإذا بها تصل إلى النادى كما وعدت مها أن يتقابلا هناك , ترى مها جالسة فتلوح لها من بعيد وتراها مها فتقف مستقبله إياها و مرحبة بها ترحاب حارا لا يخلو من مدح ما ترتديه من ثياب و إشراق فى الطلة , تضحك نورا وتقول لها وكأننا لم نر بعض من عام على الأقل , يجلسا و تطلب مها لنورا القهوة و تحدثها نورا عن عملها الجديد و تشرح لها كيف حصلت عليه وكل التفاصيل وانطباعها و مدى سعادتها , و تشكر مها و بين ثنايا كلامها توضح لها أنها تشكرها لأنها هى ودون أن تشعر من دفعتها لهذه الخطوة , تسعد مها فقط لأن نورا سعيدة , لكن لم تخف مها رغم سعادتها أنها قلقة أن تنشغل نورا عنها و لم تعد تقابلها مثل الآن , تنهض نورا و تضمها و تؤكد لها و لأول مرة أنها تحتاج لها أكثر منهااحتياج الأخت والصديقة و تطلعها على تفكير يدور برأسها وهو أن

مها قد ظهرت لها كهدية من الله فكيف لا تقبل هدية الله و كم هى حنونة حنان الأخت الأكبر وكم هى صريحة ومخلصة معها صراحة واخلاص الصديق الأقدم و الأوفى على الإطلاق , تضمها مها و تؤكد لها أن هذا الحديث العفوى البسيط هو الأجمل و الأغلى عليها .

تمر الأيام مسرعة و تأتى بداية الأسبوع و أول يوم عمل لنورا , كم كانت متوترة من تقبل زملائها فى العمل لها و كيف ستتعامل معهم و هى لم تبدأ معهم من بداية العام الدراسى , ولكنها كانت كالطائر المحلق المنضم للسرب عن جديد ؛فدائما كان يدخل فى هدوء لمؤخرة السرب و يشرع معهم فى الطيران فلا تلحظ الطيور أنه منضم لهم جديد , كذلك نورا أقدمت على بداية يوم عمل وهى مبتسمة مرحبة بالكل و من يبتسم لك فعليك رد الابتسامة له بأعرض منها و هكذا بدأت يومها الأول فى العمل و كأنها تعرف المكان جيدا و تعرف كل من فيه , و لم يكن أمام كل من يحتك بها فى العمل إلا أن يحترمها و يبادلها نفس الشعور الطيب , فهناك أشخاص تحيط بهم طاقة إيجابية ينشرونها فى كل مكان يتواجدون فيه ؛ و هكذا كانت نورا تنشر عن دون قصد طاقة إيجابية على من حولها .

تتسارع الأيام و ينتظم كل شىء من تلقاء نفسه سواء من مواعيد العمل وتعود عليها وشئون اولادها والمنزل , حتى مها لم تنشغل عنها نورا بسبب العمل حيث أصبحت تنضم لتناول الغداء مع نورا والأولاد أو تمر على نورا لاصطحابها لتناول القهوة فى مكان ما أو حتى

فى منزل نورا كما لم تنقطع المكالمات الهاتفية بينهما , و كأن العمل قرب بينهما أكثر من ذى قبل , و بالطبع أخبرت نورا يوسف عن عملها وكل التفاصيل و أيضا كل شىء عن علاقتها بمها و كم أصبح الارتباط قويا بينهما , و يقاطعها يوسف بسؤاله عما إذا كانت قد حدثت مها عنه كما تحدثه عن مها الآن ؟ و تصمت نورا و لكنها فهمت ما وراء سؤاله , و يمتص يوسف خجلها و لم يحب أبدا الضغط عليها أو إحراجها ولو أمامه ,

فقال لها : "إحكى عنى بس لما تحسى إنك بتريدى تحكى عنى " .

و لم تعرف بماذا أصابتها كلماته , كلمات عميقة خرجت من قلبه لتمس قلبها , نطقها بإحساسه لا بلسانه فانطلقت إلى قلبها واستقرت هناك , ثمة شىء غريب يجذبها نحوه كانت هكذا تفكر بين نفسها وهو يتحدث دون أن تدخل إلى صدره و تسمع صوت داخله سائلا نفسه ما هذا الانجذاب نحو تلك الهادئة الخجولة ماذا فعلت به ،كم هو ينجرف فى اتجاهها دون أى تفكير ودون أى سبب ،فقط قلبه هو من يعرف السبب وهو اللاسبب ،فأى حب يا أنت يأتى بسبب ، و كم من حسن سبب و لم يأت بالحب , فالحب يا أنت يا من تطبق على بين ضلوعك انجذاب الروح للروح دون سبب , فقط أنتم البشر تضيقون على أنفسكم بمعرفة أسباب لكل شىء , أما القلب يا صاحبى يحب و يدوب و يعشق دون أن يشغل نفسه فى ما السبب فلا وقت لديه إلا

لعشق معشوقه , كان هذا ما يدور فى داخله و لكنه يحدثها أثناء تفكيره حتى لا تشعر أنه تغير أو غضب لأنها لم تتحدث عنه مع مها ..

و لكنه لا يعلم كم هى تشتاق لأن تحكى عنه لصديقتها , فكم نشتاق عندما نحب أن نتحدث عمن نحب مع القريبين منا , وكم يشتاق الفرح لنتقاسمه , وكم هى اخترعت مئات الأحاديث الوهمية بينها وبينه وكم ضحكا سويا وكم تجولا فى الشوارع دون هدف الوصول لمكان , وكم قبلها و تخيلت تقبيله لها فخجلت و تسارعت أنفاسها !!

نعم تخيلت قبلته لها , كانت تخجل حتى من تخيل فكرة تقبيله لها , فكم نخجل من الخيال عندما تكون القصص من عميق القلب , يكملا حديثهما عبر الهاتف و كان كل ما يسعده هو سماع رنات الفرح فى صوتها و شعور بالحب لم تتفوه به لكنه لمحه بين ثنايا كلماتها و رنات صوتها الهادئة, أخذ يجمع الكلمات و يقبض عليها ليستعيد هذا الحديث بين نفسه من جديد عندما تغلق معه فكيف أن تعطيه هذه الجرعة من الدفء,و تأخذها فور أن تغلق معه لذلك كان يسجل حتى صمتها , ضحكاتها , أنفاسها بين الكلمات , يسعد لسعادتها و يخبرها بمدى هذه السعادة لأنه يسمع صوت الفرح فى صوتها و لم يفق من خدره إلا وهو يقول :

" من غير ما تحكى أنا بعرف كل كلامك حبيبتى "
هكذا نطقها عفوية بانتعاش النسيم بصفاء الماء , كلمته لا تتعدى الستة أحرف لكنها فعلت بها أضعاف عدد أحرفها الست , وهذا

المسكين قلبها هل يحتمل كل جرعات الفرح والحب وهو المعتاد على إلا يدخله إلا الحزن و برود الوحدة , هى اكتفت بكلمة حبيبتى ولم تنتبه لما تبعها من كلام قاله لها , و صمتت و فمها يبتسم و فى عينيها دمعة حنين رقيقة تخجل من أن تبلل خدها ومازال يوسف هنا بصوته يتحدث , و لأن الروح تشعر حتى دون اللقاء فهكذا الروح فى الحب تتعانق دون مكان ولا زمن , فشعر يوسف بما لم تقله نورا , شعر من أنفاسها من كلماتها التى تخرج فى بطء و هدوء مختنق , تابع حديثه ..

" كنت أتمنى أكون معك و أشوف فرحتك بعيونى و اقولك حبيبتى وأنا بشوف أحلى عيون , وأمسح أغلى دموع ما عاش يلى بيدمعها من هالعيون الحلوة "

, لم يسألها هل هى تبكى أم لا بل يكمل ويتحدث وكأن حديثهما نغمات تكمل بعضها لتخرج لحن ولا أروع , وكم جميلة ألحان الروح عندما تعزف القلوب العاشقة عشقا فى زمن ندر فيه العشق و ندرت فيه الروح الحلوة , و ندر الانسجام .

ويقطع يوسف حديثه فجأة ليتعجب من نفسه و لماذا من الأساس هو يتمنى ومصر ليست ببعيدة و فزعت نورا من تغير نبرة صوته فجأة , و يعتذر يوسف عن صوته العالى الذى أفزعها ,ولكن يخبرها أن مصر ليست ببعيدة وأنه عزم الأمر أن يأتى لزيارة مصر , و أكيد لزيارتها ..

"أصلا أنا جاى عشان عيونك أنت"

وبصوت عالى و كلام غير مرتب وغير مترابط يلاحقها فى الحديث فلا يترك لها التفوه بكلمة واحدة بخفة ظل وروح دعابة منه لها , فتضحك نورا و لا تقل له إلا إنه مجنون وهذا ما كانت لا تعرفه عنه , ولكن كم هو جميل الجنون فى الحب , وكم رائع عدم توقع أفعال من نحب , تغلق معه وهى فى عالم غير منتهى من صوته , كلماته , ضحكه و مغازلته الراقيه لها , وكل هذا لا يقاس بكلمة واحدة قالها لها :وهى كلمة حبيبتى فهى أول مرة ينطق بها ولكن ما أعذب هذه الكلمة لو أتت ممن نحب , ولكن هل مكالمة يوسف و تصريحه لها دون سابق إنذار بحبه ووصفه لها بحبيبته تنسيها أنها مازالت مكبلة بزواج لا تعلم إلى أين سيوصلها ولكن سرعان ما يرد داخلها على داخلها , عن أى زواج نتحدث هنا !

هل هذا هو الزواج , رجل يعيش متنقلا بين النساء محلق بين أكثر من علاقة فى نفس الوقت , و لا يربطه بكلمة زوجة إلا حديث هاتفى و حتى لا يرتقى لوصفه حديث فهو لايتجاوز الدقائق المعدودة , لم تكن المشكلة هنا أن الزوج يسافر و عمله فى بلد غير البلد التى تستقر فيها الزوجة والأبناء فياليت القصة هكذا ولكن هنا ومع ما يحدث فى واقع نورا و زوجها هشام أنهم مطلقان بالفعل ولكن مطلقان دون أن تقع إجراءات الطلاق , فهناك ما يسمى "الطلاق الصامت" نعم هناك طلاق صامت و بالرغم من حدوثه تستمر الحياة الزوجية بين الزوجين

سواء كانا ومازالا يقيمان فى نفس المنزل أو مثل حالة نورا يفصلهم كل شيء ما عدا إمضاء على ورقة .

تمر الأيام و تنتظر نورا مكالمة هشام ،و هى أول مرة تنتظر مكالمة منه , ولكن ماذا ستخبره هل من كلام ترتبه لإلقائه عليه فور اتصاله أم أنها سترتجل , هل تخبره أم تناقشه , هل هناك ما تناقشه من الأساس , هل تكون صريحة أم ملتفه , كم ماذا !.. وكم كيف!..تعصف برأسها و هو لم يتصل بعد وقد ملت الانتظار.

لكنها لاتريد أن تفسد فرحتها بالتفكير فى من لو رآها الآن لا يتذكرها , فابتسمت و أخذت تسترجع آخر مكالمة ليوسف و كيف ستستقبله عندما يأتى.. و متى سيأتى.. كم تشتاق لحديث معه خارج التكنولوجيا و أجهزتها .

و أصبح الأمر فيه التزام إخبار مها بكل القصة , فهى لا تحتمل أن تخفي عنها , و بالأحرى لا تحتمل كل هذه الفرحة بمفردها , فكم فى الحب ما نحتاج للحديث عمن نحب , و كعادة كل النساء لا يخلو تفكيرها من فيما سترتدى وكيف ستصفف شعرها و كل هذه التفاصيل , و تقفز من فراشها الدافئ وتقف أمام خزانة ملابسها و تقضى ليلتها فى دفيليه لجميع ملابسها ، وهى العارضة الوحيدة لهذا العرض .

يأتى صباح يوم جديد فيزيد عمر حب يوسف لنورا يوما , و كان يوسف قد رتب كل ما يخص زيارته لمصر , و ميعاد الرحلة وحجز التذاكر وحتى حجز الأوتيل وكل شيء , كان قد حجز كل شيء عن طريق الانترنت , فهى لم تكن زيارته الأولى لمصر فهو عاشق لمصر و كان وقد زارها عدد من المرات لا تحصى , ولكن هذه الزيارة لها وقع مختلف عليه وكأنها الأولى , كان فرحا بزيارته مثل المراهق فى ميعاده الأول مع أول فتاة يواعدها , ولكن لماذا كل هذا الفرح ؟ هو نفسه لم يكن يعرف تحديدا .

ولكن مرت موجة من الصمت فبرد قلبه الراقص الساخن , وجمدت ملامح وجه المبتسم , و إذا به يحدق لنفسه فى المرآة الضخمة على حائط حمام غرفته أثناء حلاقة ذقنه و أخذ الدش الصباحى استعدادا للذهاب إلى مكتبه , كان و كأن أحد نبش بقوة جرح غائر لديه , جرح يخفيه وبحرص , جرح جندى كاد أن يفقده هذا الجرح حياته , لكنه تعافى من ألمه من سنوات مضت , و نسى ما مر به مع كارلا , ولكن للأسف أحيانا نشفى من الجرح ويزول الألم ولكن لابد من أثر للجرح و ندبه لا تزول فكلما نظرنا لأثر الجرح تألمنا ولو قليلا , ولكنه قد أحب نورا بصدق , و عرف أن النساء أبدا لسن نسخة واحدة فى أجساد و وجوه مختلفة , فنورا ليست كارلا , وكارلا قد انتهت قصتها دون فصول أخرى , ربما خوفه الوحيد هو من ألم فراق جديد , لكنه طمأن نفسه أن شعوره طبيعى ،و حتما سيزول مع الوقت ومع توطد علاقته بنورا و أخذها مجرى الارتباط الرسمى و شكل العائلة ,

وما يزيد اطمئنانه أنه لمس فى حديثه معها أنها مثله تفتقد للحب , وكم هو مشتاق لاحتوائها و إغراقها بحبه و حنانه , فهو فاقد للحب لكنه يفيض به , وكل ذلك سيفعله وجها لوجه معها فور وصوله لمصر الأسبوع القادم , فقط أسبوع و يرى معشوقته و يحدثها بعيدا عن التكنولوجيا , يحدثها وهو ينظر لعينيها بدلا من تخيلهما , سيرى ابتساماتها حية غير مكتوبة , و كل ما تخفيه من انفعالات عبر الهاتف سيحدثها حديثا مسموع لا مكتوب .

أما نورا فتسير فوق الأرض لا عليها تحلم بزيارة يوسف , بصوت يوسف , بعيدا عن الهاتف ,برائحته فالرائحة وفيه تظل عالقة بالأماكن رغم مغادرة أصحابها و تذكرنا بأصحابها دوما , ولكن ثمة شىء يربكها ، وهو كيف ستحدثه عن ظروفها و تشرح له مالم يسأل هو عنه , فهو يعلم أن لديها طفلان لكن ولا مرة سألها هل هى مطلقة أم أرملة أم ماذا , لم يسألها قط ولا حتى بالتلميح , لم تنتبه هى الأخرى لهذه المسألة ولم تفكر فيها إلا الآن , لكن الأمر الآن واضح دون تشويش فهو صرح لها بأنها حبيبته ،و أيضا سيأتى لمصر مخصوص لزيارتها , وهى أيضا ناضجة كفايه لتعرف عن نفسها أنها أحبته بصدق حبا حقيقيا وواعيا .

ولكن هشام !!

هشام لم يتصل , هى تعلم أنه لم يتأخر فى اتصاله ،و لكن هى الآن من تنتظر مكالمته , ربما أفضل أن تهاتفه هى , فهى من تريد التحدث معه

هذه المرة , لم تنه نورا جملتها مع نفسها إلا وأمسكت تليفونها المحمول و طلبت هشام , و تحدث نفسها أثناء رنات الهاتف :

طبعا مش هيعبرنى زى كل مرة , لكن مش هقفل يمكن يفهم أن فيه شيئا ضروريا .

و أثناء حديثها لاحظت صمت رنات الهاتف فنظرت لشاشة التليفون فوجدت الخط مفتوح .

نورا : ألو

هشام : أيوا يا نورا ليه يعنى مش هرد عليكى !

نورا : لا أبدا بس ده العادى .

هشام : بس العادى ده أكيد مش مقصود , عاملين إيه ؟ الولاد كويسين ؟

نورا : الولاد كويسين , أنا كلمتك علشان أنا عاوزاك فى موضوع

هشام : موضوع !! موضوع إيه ؟

نورا : هشام أنا عاوزة أطلق وقررت كده .

obeikandi.com

هشام : إييه !! فى إيه أنت بتقولى إيه ؟ إيه اللى حصل ؟ و الولاد فين ؟ أنت فين أصلا ؟ بتتكلمى منين ؟ أنت فى البيت ولا سيبتى البيت ؟ وإزاى تطلبى حاجة زى دى ؟ فى إيه ردى عليا .

نورا : خلصت كلامك ؟

هشام : هو أنا لسه اتكلمت أصلا , أنا عاوز أفهم كل حاجة يا هانم يا أم يا محترمة .

نورا : أنا مطلبتش حاجة مش من حقى , و بعدين أنا مش فاهمة الثورة دى سببها إيه , ما احنا أصلا نعتبر مطلقين ولا الجواز عندك يعتبر بس ورقة , كلمة جواز دى حاجة مش موجودة فى علاقتنا يا هشام , و أنت عارف وأنا مش هشرح و أتكلم فى كلام أنا وأنت عارفينه كويس , وعلى العموم أنا اللى طلبت يعنى شكلك كويس وأنا اللى شكلى وحش .

هشام : هو أنت شايفة شوفة تانية ولاإيه , ما تفهمينى وعلى العموم خلى بالك أنا مش هسيب ولادى لحد .

نورا : أوكى مش ده موضوعنا وكل التفاصيل القانون هيحلها و نسأل فيها محامى مختص .

هشام : آه لأ بأه ده الموضوع بجد !! شوفى أنا هاخد أجازة و فى أول فرصة وهنزل الموضوع مينفعش فى التليفون .

انتهت المكالمة دون أن تصل معه لهدف المكالمة من الأساس , لكن مزيج من المشاعر داخلها الآن حلو و مر فى نفس الوقت , الحلو هو وقوعها فى حب رجل صعب أن تجده فى الواقع ربما تقرأ عنه أو تشاهده فى مسلسل رومانسى , رجل جعل قلبها البارد ينبض من جديد , و المر هو خوفها مما تخبئه الأيام القادمة من ردة فعل هشام و إلى أى مدى سيكون هجومه عليها , و هو المتلقى منها صفعة و فجأة دون سابق إنذار , أما خوفها الأكبر فهو من أن تسقط من عين رجل أحبها بصدق وكان معها كالطفل البرىء وهى المتزوجة بآخر , هل يفهم يوسف كل هذه الملابسات ؟ هل يفهمها ويضع نفسه فى مكانها؟ أم ينهى معها القصة قبل أن تبدأ ؟

يوسف : صباحك أنور.

أنور : يسعد صباحك عم الشباب .

يلتفت أنور من أمام شاشة الكمبيوتر و يصمت لحظة ، ثم يتبعها بضحكه العالى من القلب كعادته ..

أنور : شكلك والله عريس , شو بنا ؟ها لا تخبى عا أنور .

يوسف :لا لسه مانى عريس يا أنور بس ادعيلى إنشاالله عن قريب

هكذا كان استقبال أنور ليوسف فى مكتب يوسف , يدخل يوسف لمكتبه و يتبعه أنور ..

أنور : " ماراح حل عنك اليوم يوسف إلا لما تحكيلى شو مخبى عنى و شو هو سر هالطلة الحلوة والضحكة الساحرة أكيد وراها سر يلا إحكى "

يوسف :" والله يا صديقى العزيز حكاية ما بتتصدق , حكاية ناعمة ورايقة وحلوة , كأنى غايب عن وعيى و ما فئت إلا و أنا داخل الحب , لا حبيبى حب إيه والله عشق عشق أنا عشقان وخلاص أهلا بالزلزال , وما راح أتنازل أبدا عن هالاحساس , وكأنى يا صديقى ما بعرف حالى بس بحب حالى هيك , خلتنى إنسان تانى بموت لو ما سمعت صوتها فى يوم , وخلاص الأسبوع الجاى أنا بروح عامصر و بنتفق و بدعيها تيجى بيروت براس السنة لتشوف أمى و الكل , وإنشالله بيمشى الحال و بنتزوج وما بتطول "

لم يعط يوسف فرصة لأسئلة أنور اللا نهائية و يدفعه من ظهره بمزح إلى خارج مكتبه ..

يوسف :" يلا أنور تيسر معلم عندنا شغل كتير ولازم يخلص قبل ما سافر "

وأغلق يوسف الباب و يقف أنور بالخارج ملتصقا بالباب و بصوت عالى يسأل يوسف ..

أنور :حلوة ؟ هى حلوة معلم ؟ طيب مسافر مصر لأن هى من مصر ؟ شو اسمها ؟ خبرنى ولا بعرف بطريقتى ؟ طيب الله يسهلو و بالمصرى من لقى أحبابه نسى أصحابه , ماشى نيالك جو .

لم يغلق يوسف باب مكتبه إلا ليهاتف نورا , وبالفعل دق لها و تبتسم لرؤيتها رقمه يرن فترد فورا .

يوسف : صباحك غاردينيا يا روحى , شو أخبار حبايبى و شو أخبار أم حبايبى ؟

تنسى كل الدنيا فور سماع صوت وكلمات يوسف التى أقل ما توصف به أنها رقيقة نابعة من روح حلوة , تبتسم وكعادته معها يعرف ما تفعله دون أن يراها فيرد هو:

" ما أحلاها ابتسامة حبيبى "

فتضحك نورا ليرد هو: " والله خلاص خلص يومى ما فينى اشتغل بعد هالضحكة "

تقاطعه نورا وتسأله عن ميعاد قدومة لمصر .

" حبيبى طبعا راح آجى مصر ما هى فكرتى أصلا , لكن شكلى ما راح تظبط معى بهالشهر يمكن الشهر الجاى , بس بسلم الشغل المتأخر و برتب حالى و فورا بجى , ويلا راح أعطيكى فرصة لتحضرى حالك قبل ما أشوفك , ما أنا بعرف شغلات البنات "

obeikandl.com

و يضحك ويعلو صوته أمام صمتها هى , هو يضحك لأن خدعته نجحت و صدقته نورا أنه لن يأتى هذا الشهر , تصمت ولا تبادله الضحك , فقط تطلب منه أن يخبرها بميعاد قدومه حينما يقرر أنه سيأتى بالأساس , و يفهم نبرة صوتها الذى وقفت فجأة إيقاع الفرح فيها من معرفة عدم مجيئه , فهو كطفل يخدعها بعدم قدرته على المجىء فقط ليشعر بلهفتها على لقائه و هذا الشعور وحده يكفيه و يرضيه , ردة فعلها جعلته يود المجىء اليوم قبل غدا .

يسأل يوسف أنور عن ريم ليخبره أنور أنها لديها ميعاد عمل مهم مع عميل لعرض بروفة أحد التصميمات , فيطلب منه أن يخبرها وقتما تصل أنه يريدها بمكتبه للضرورة , لم يكملا حديثهما إلا و تدخل ريم كعادتها مبتسمة حاملة فى يدها الاسبريسو لهم هم الثلاثة , ولا يقف أنور عن مشاكستها من لحظة دخولها ابتداء من نقده لبسها و تسريحتها و كل شىء ،و بالتأكيد ريم تعلم جيدا أنه يمزح معها و لو لم يفعل لم يكن أنور أو ربما يكون مريض , أو غاضب منها .

طلب يوسف من ريم أن تأتى لمكتبه فهو يريدها , جلست على الكرسى المقابل لمكتبه مبتسمه بل بالأحرى سعيدة لامعة العينين فقط لمجرد أن يوسف يريدها فهى لم تتحدث من قبل لكن عيناها تفضحان حبها له حتى من قبل أن يتزوج بكارلا , يطلب منها يوسف أنه يريدها أن تصطحبه لشراء بعض الهدايا فهو يعلم أنها خبيرة شراء ككل النساء بالإضافه إلى ذوقها الراقى , ولكن عادة عندما يريد هو شراء شىء ما

يوكلها هى فى شراءه فقط يخبرها لمن و يعطى لها سقف معين فى التكلفة فهى ليست المرة الأولى ولكن الغريب أنه يريد أن يذهب معها , و تريد ريم أن تستفسر منه فيقاطعها و يهم ناهضا من وراء مكتبه مرتديا جاكته قائلا لها أنه سوف يشرح لها كل شىء ولكن فى السيارة .

ينطلق بخطواته الواسعة متجها لسيارته و تلاحقه ريم بخطوات كثيرة ولكن ضيقه بسبب ما تنتعله من حذاء بكعب شديد العلو ولكن هى من داخلها ترقص فرحا و يتخيل عقلها مئات القصص لما يحدث الآن , يفتح لها باب السيارة و تركب و يغلق الباب و يركب هو الآخر و يدير محرك السيارة و يستعد و لكن يدير المفتاح مرة أخرى ليغلق المحرك و يصمت ثانية ثم ..

يوسف : " ريم اسمعينى أنا محتاجلك اليوم تساعدينى فى مهمة صعبة شوية عليا لكن أكيد بالنسبة إلك ولا شىء و أنا مالى صديقة أقرب منك لتساعدنى فى هالشىء "

ريم : " إيه و الله رعبتنى , يلا قول شو فى "

يوسف : " أنا بدى ياكى تساعدينى أشترى هدايا لأولاد صغار , ولد وبنت عمرهم ما بين ٥ و ٧ سنين , و هدية لمرة ناعمة وحلوة كتير و حنونة "

و تقاطعه ريم :

" من هادولا يا يوسف "

يوسف : " شوفى ده موضوع طويل بس برجع بخبرك أنت و أنور بكل شىء , لو ما كان أنور عس على كل شىء و خبرك هو قبل ما أرجع "

ريم : " ترجع من وين ؟"

يوسف : " من مصر , أنا مسافر عامصر فى شىء خاص ومهم جدا و لما برجع بنحكى مثل ما وعدتك , بس الله يخليكى ما بدى النهار يضيع وإحنا لسه بالسيارة عم نحكى , يلا قولى أسوق على وين " .

كانت ريم تسير معه ولكن عقلها ليس معه , عقلها يغربل حديثه و يعيده مئات المرات على أمل أن تجد شيئا غير ما يخبرها به عقلها من استنتاج ليس له بديل , لكن قلبها لا يريد أن يستسلم لاستنتاجات العقل ، وكأن القلوب أحيانا تضع ستارا على الشمس فتأمل أن تحجب ضوءها , لكن ولا مرة حجبت الستار ضوء الشمس .

اشترى يوسف كل ما يريد و لم يلتفت أن ريم قضت معه نصف النهار تبحث معه و ترشده على المحال و لولاها ما اشترى شيئا واحدا , ولم يدعوها لشرب حتى فنجان قهوة على عجل أو الجلوس فى مكان لترتاح دقائق , وإنما كان كل ما يشغل تفكيره هو نورا و زيارته لمصر، و كيف ستستقبله وهل يتقبله أبناؤها ، و هل تعجبهم الهدايا وكل هذه التفاصيل , حتى أنه لم ينس مها و هو يشترى الهدايا فكيف ينسى

صديقة نورا و من هى فى مكانة أخت كبرى لها , فترى هل يوسف هو الآخر رجل خائن ..

خائن لحب ريم.. خائن لسنين عمرها التى مرت فى العمل معه وتشجيعه و انتظاره و فقط , هو يعلم أنها تحبه و بالرغم من هذا لم يبعدها عنه لأنه لا يبادلها نفس الشعور ولكنه اكتفى بالالتفاف حولها والصمت وإقناعها فى جميع تصرفاته أنها ليست إلا صديقة بل وأعز الأصدقاء هى وأنور بالطبع , فياترى هل هذا يكفى لابعادها أم هو كان فى داخله غرور رجل يسعده حب امرأة حتى ولو لم يبادلها حبه .

وهل تبعد ريم فى هذه المرة أم تكسر هى حاجز الصمت و تتحدث مدافعة عن حبها ثائرة على صداقته لها متمردة على القالب الأخوى الذى وضعها فيه ؟؟

يرجع للمكتب وكله طاقة، و كأنه فورا والآن قادم من منزله ليبدأ عمله , فينفرد بأنور و يراجعا سويا كل ما سوف يتم تسليمه من عمل و مراجعة المبالغ التى لابد من تحصيلها ،و كل تفاصيل العمل فهو لا يريد أن يخسر عميلا واحدا , لا للخسارة المادية و إنما لأن العمل و النجاح فيه مقدس عنده , وهذا المكتب الذى بناه من لاشىء , فكفى ما ضيعه من وقت أثناء زواجه من كارلا وحتى بعد انفصاله عنها و لظروف كثيرة كان قد مر بها .

يعتبر مكتب يوسف من أفضل و أشهر المكاتب فى بيروت المتخصصة فى تصميم الشكل الخارجى للمبانى عامة سواء منازل أو فيلات أو شركات , ولكن هو يقوم بالتصميم الخارجى و الداخلى وبكل تفاصيله ولكن لا يقوم بالتنفيذ , فإما يسلم العميل التصميم و ينفذ هو بطريقته , أو يسلم لمهندس البناء والديكور لينفذ , وكان وقد حصل على جائزة أفضل تصميم خارجى أكثر من مرة على مستوى العالم العربى , ومن وقت انفصاله عن كارلا و ملخص حياته هو عمله و أمه التى هو وحيدها فكيف و بعد أن اقتنص من الحياة الحب أيضا أن يضيع أى ضلع من هذا المثلث .

لم تعد معه ريم إلى المكتب قائلة أنها على موعد عائلى ولابد من عودتها للمنزل , هكذا قالت لكن ما قالته ما هو إلا عذر للهروب من أمامه وهو الذى يشعل حبه فى قلبها بوجوده , ولكن الحال واحد حتى فى عدم وجوده فقلبها معلق به و لم يرض بغيره طيلة السنين الماضية , عادت لمنزلها و معها خيبة الأمل التى صاحبتها فى نفس الموقف عندما عرفها على كارلا و خبرها بعلاقته معها , واليوم يعود ليخبرها لكن فى طيات حديثه عن شىء جديد جلب له السعادة , جلب له السعادة و جلب لها الأمل قتيلا .

يدق لها أنور , هو الوحيد الآن الذى يشعر بها و يعلم جيدا ما تمر به ..

- أنور : وينك يا بنت؟
- ريم : أنا بالبيت.

- أنور : طيب راح أمر عليكى , انطرينى ولو بدك تعى نطلع مشوار.

ريم : أنا عم موت يا أنور , عم أموت للمرة التانية ، وهو مو حاسس فينى .

- أنور : جاى لعندك , يلا راح سكر.

هو يعلم بحبها ليوسف من سنين طويلة , لكن ولا مرة تحدثا عن هذا , هى لم تحدثه لعدم وجود ما تتحدث عنه فحبها ليوسف طول عمره من طرف واحد فماذا ستقول لأنور , أما هو فلم يتحدث؛ لأنه مثلها تماما و فى نفس موقفها يحب من طرف واحد و يهوى بلا أمل , يتجدد أمله بزواج يوسف الأول , فيفاجأ و بعد كل هذه السنين أنه معها فى نفس النقطة ،و لم يتقدم خطوة واحدة فهى مازالت معلقة بأمل مع يوسف ..

يقود بجنون , و ما يزيد جنونه هو مزيج المشاعر داخله , فهو الغاضب منها الثائر عليها وعلى تجاهلها لحبه , وهو الحانى عليها المنكوى من نار دموعها و ما تعانيه من ألم , ود لو صفعها و ضمها لصدره فى آن واحد , لكنه يعذرها لأنه مثلها عاشق , يعشقها دون أمل مثلما هى تعشق يوسف دون أمل , يتعجب لنفسه من عشقه لامرأة تطحنه بين حجر حبه لها و حجر صداقة العمر.

ما هذا اللغز فى الحب , لمتى نتجاهل من ينظر لنا و نحدق فى المتجاهل لنا .

وصل أنور , صعد لشقتها كالطلقة المصوبة نحو هدف , لكن ما هو هدفه , عناقها بصدر صديق و تخفيف الألم عنها بالمشاركة , أم ثورة عاشق أضاع سنين ينتظر..

فتحت له الباب و عيناها تملؤها الدموع فلم تر حتى ملامحه , ضمها بقوة فور أن رآها , يخفى رأسها فى صدره يهدئها بكل حب و رقة , يمسح بيده على شعرها , يستنشقها , كم نسى ثورته أمام دموعها , صامتة هى عن الكلام لا يصدر عنها صوتا إلا صوت البكاء و تلاحق الأنفاس , تهدأ نوعا ما و يخرج صوتها محشرجا من كثرة البكاء , و تنطق بأول كلمة وهى يوسف و قبل أن تكمل ما تريد قوله يدفعها أنور و يقف أمامها وكله غضب و ينهرها ..

- أنور : فوئى بأه إصحى شوى شو بك خلاص ما عم تفهمى ليش , ليش ما عما تريدى تفهمى , الزلمة ولا مرة اتطلع فيكى إلا و شافك أخته , الزلمة حب واتزوج و طلق و رجع عشق من جديد وراح يتزوج و أنت أمام عيونه كل هالسنين ولا مرة شافك , لك افهمى , افهمى بأه يا مخلوقة , حسى شوى شو ما بتحسى , كيف عشقانة راجل أنت عندو ولا شى و مو شايفة يلى أنت عندو حياته , يلى ناطرك تحسى فيه , شو هالقد أنت مو حاسة فينى , العمى شو ما عندك إحساس , ولا مرة سألتى نفسك ليش ما

تزوجت لهالحين , ولا مرة سألتى نفسك ليش ما عم أحكى أنى عاشق ولا حتى عم خبص , أنت بلا إحساس ..

انفجر أخيرا بركان أنور الخامل من سنين , انفجر و تركها تحاول استيعاب ما قذفه من كلام , ترجع بالذاكرة لتجد كم كانت بالفعل عامية ولا ترى الكثير , كل مواقفه معها تنم عن حبيب و ليس صديق , وقفت عند سؤاله لها لماذا لم يتزوج إلى الآن , و كأن سؤاله كان قد فك شفرة لديها , شردت كثيرا فى هذا السؤال , و أدركت كم عشقها مثلما هى عشقت يوسف فلم تقدر على التفكير فى الزواج من غيره , كذلك أنور لكم عشقها فلا قدرة لديه على الزواج بأخرى , انتبهت أنه لم يسبق له طيلة سنوات صداقتهم أن حدثها عن امرأة يحبها أو يواعدها حتى , مثلها تماما ثبت عينيه عليها فلم يرى سواها مثلما لم ترى هى الا يوسف .

آه يا ريم كم كنت قاسية , كم من مرة رأى عاشقك عشقك لغيره فى عينيك ولم يقدر على البعد عنك , آه يا ريم كم قتلت عاشق لم يرتكب حماقة إلا عشقه لك , طيلة هذه السنين وهو الصديق و الأخ ولم يظهر إلا ذلك خوفا من أن يخسر صداقتك للأبد , كم عذبتى أنور يا ريم , وكم تحمل هو العذاب حتى لا يفارقك فيكون العذاب الأعظم له..

مشتت أنور يهذى بالحديث لنفسه , لا يعلم ماذا سيفعل , يذهب للعمل و يلتقى بها و كأن شيئا لم يكن , لكن كيف بعد ما قاله , لم

يغمض له جفن طيلة هذه الليلة , ولم يذهب للعمل فى اليوم التالى , لم يفعل أى شىء حتى لم يبدل ثيابه , يدق له يوسف أكثر من مرة ولم يرد , يدق جرس الباب و يفتح ليجد ريم أمامه , يتركها عالباب و يدخل , تأتى هى خلفه , و تمد له يدها بالقهوة التى أحضرتها معها مثلما عودته , فينظر لها فتبتسم له بعينيها الزابلتين من بكاء أمس , فتسحره الابتسامة , فينهض و يعانقها و يقبل رأسها متأسفا لها عن أمس و طالبا منها أن تنساة و كأنه لم يحدث و لو يريحها تركه العمل سيفعل فورا , تضع يدها على فمه طالبة منه أن يظل بجانبها و أن يقترب منها أكثر و ما حدث أمس لن تنساه أبدا ولا تريد نسيانه , و تبتسم له ،و كالطفل هو أمام كلماتها القليلة يذوب و يقبل يدها ووجهها و يضمها ليرفعها من الأرض معتبرا أن كلماتها البسيطة هى بداية لشىء حلو بينهما أيا كان ، و دون تفاصيل كم هو عجيب حال العاشق يتبدل دون توقعات , وكم من عاشق يعتذر و هو المظلوم يبتسم و هو من عشقه مذبوح .

لم يكن يعلم هشام ما الذى أصابه بعد مكالمة نورا , و ما كل هذه الأفكار فى رأسه و ماذا حدث و أدى لهذه النورا المختلفة , وماذا حل به و هو الذى تركها بمحض إرادته , ألم ينتهز هذه الفرصة ليخلص من هذا الارتباط , و لكن كان ما يدهشه أن التى تركها امرأة ضعيفة لا تعلم فى حياتها غير تربية أبنائها , تخاف من العالم الخارجى , تخشى الاندماج مع الناس , يكفيها من العالم بيت دافئ صغير له باب تغلقه عليها هى و أبنائها و هذا هو كل عالمها و حتى المتبقى من عائلتها لا تلتقى

معهم إلا فى المناسبات الحزينة كوفاة أحد الأقرباء , أما والداها فقد توفاهم الله قبل أن تتزوج بهشام أو حتى تلتقى به , من أين أتت بحديثها معه , وما وراء حديثها , ولماذا الآن تحديدا ؟!

لأول مرة يشعر كم هى مهمة نورا بالنسبة له , ولكنه دائما يضعها فى خانة الثابت الغير قابل للتغيير , صدمته فى تغيرها عليه أقوى من صدمة طلبها نفسه .

أخذ شريط الذكريات يمر فى رأس هشام ؛ و كأنه يرى نورا لأول مرة , و كيف كانت هادئة رقيقة جميلة , يعلو صوته محدثا نفسه , كنت غبيا أم أعمى كنت أفسر صمتها على كل تصرفاتى على أنه لا مبالاة , كنت أصف هدوءها بالبرود , كيف لم أر أنه عقل و صبر و محاولات لاستمرار الحياة بيننا و تحمل لحماقاتى , كم كنت أحمق أضعت من يدى الاستقرار و امرأة أقل ما توصف به أنها نادرة , مختلفة , فى مقابل بحثى عن لاشىء .

لكن لم يعرف هشام أبدا كلمة استسلام , فهو دائما كان يملك حل وسط , أو نصف حل , أو كما كانت تقول نورا له مسكن للألم و ليس علاجا , ولكن هل ما زال هشام يملك مسكن له القدرة على تسكين آلام نورا , و الأهم هو هل تقبل هى بمسكناته هذه المرة ؟؟

لم يستطع هشام بكل حبه لنفسه و نرجسيته أن يهدأ البركان الذى داخله , و إعصار الأفكار الذى يكاد أن يفجر رأسه , فقام والتقط هاتفه و ظل يبحث فى قائمة أسماء هاتفه عن سمر

قائلا لنفسه ..

"سمر.. هى سمر الوحيدة لازم أكلمها".

هشام : " ألو , أهلا يا سمر يا حبيبتى ".

سمر : " أخيرا افتكرت إن ليك أخت , و يختنق صوتها بالبكاء".

هشام : " اسمعينى يا سمر كويس و ركزى معايا , أنا محتاجلك أوى يا سمر".

سمر : " فى إيه يا هشام قلقتنى ".

هشام : " أنا عاوزك تروحى لنورا , أنت أصلا بتزوريها وهى بتجيلك ولا لأ ؟ ".

سمر : " بصراحة من فترة طويلة ما كلمتهاش و لا زرتها , أنت عارف الشغل و البيت , أنا دلوقتى متجوزة ولا أنت نسيت , ليك حق تنسى ما أنت ما هنش عليك تنزل علشان جوازى , ولا يعنى علشان دى الجوازة الثانية , ولا هقولك إيه دا أنت حتى يا هشام منزلتش فى وفاة ماما , ماما يا هشام دى كانت نفسها تشوفك ".

obeikandi.com

هشام : " سمر لو سمحتى وقفى لسانك شوية و اسمعينى " .

سمر " طيب قول " .

هشام : " نورا تغيرت أو بالأصح اتجننت " .

سمر : " ليه ..حصل إيه ؟! " .

هشام : " فجأة كلمتنى و طلبت الطلاق و بتتكلم بجد و لأول مرة فى الموضوع ده, و لهجتها غريبة عليا مش هى دى نورا , و بعدين أنا عاوز أعرف هى عاوزة إيه , هو أنا مخليها عاوزة حاجة هى ولا الولاد دا أنا زى الثور فى الساقية عشانهم " .

سمر : " هشام أنت بتكلم سمر أختك يعنى أنا عارفة كل حاجة و عارفاك كويس وكمان عارفة نورا , على فكرة نورا كانت معانا على طول فى مرض ماما ووفاتها و بعدها كمان , لكن أنا انشغلت و أكيد هى كمان كفاية عليها حمل البيت و الولاد وهى لوحدها , بس يوم الجمعة أكيد هعدى عليها , بس لازم أكلمها الأول طبعا , بس أقول لها إيه , إنك كلمتنى وأنا وسيط بينكم ولا إيه , فهمنى بالظبط " .

هشام : " لا أنا نازل بنفسى بس لما ظروفى تسمح , أنا بس عاوزك تزوريها و تعرفى إيه مغيرها و تبلغينى " .

سمر : " آه يعنى تحريات , طيب يا هشام " .

هشام : " بس الكلام ده تعمليه النهاردة مش يوم الجمعة , أنا مش هستنى للجمعة , أنت سامعة النهاردة يا سمر , وهكلمك ١٠ بليل بتوقيت مصر علشان أعرف عملتى إيه ".

سمر : " هو أنا أقدر أقول حاجة ما أنت طول عمرك هتفضل كده تدى فى أوامر , على العموم حاضر يا هشام ونتكلم بليل ".

لم يكن أمام سمر إلا سماع ما قاله لها هشام و تنفيذه , و بالفعل أنهت عملها بالشركة و أخذت سيارتها متوجهة لمنزل نورا أو بالأحرى منزل هشام ونورا , و توقفت فى طريقها أمام محل للحلويات لتحضر شيئا ما للأولاد و أخيرا وصلت بمعجزة لمنزل أخيها فى المعادى , دخلت من باب العمارة و ألقت السلام على أمن العقار و هو يعرفها بالطبع و بعد أن رحب بها أخبرها أن نورا ليست بالمنزل , و استفسرت منه هل ستصل فى ميعاد معين فأخبرها أنها على وصول قبل ميعاد أتوبيس مدرسة الأولاد , و يبتسم و يشير لها ها هى قد وصلت بالفعل .

تفاجأت نورا فور أن رأت سمر , ولكن ابتسمت و فرحت لرؤيتها و أخذتها فى عناق طويل وسلام حار , و قبل أن يصعدا سويا كان قد وصل أيضا أحمد وياسمين لكن لم يندفعا تجاه عمتهم سمر مثل أمهم، ولكنهم بعد أن حثتهم أمهم على السلام على سمر بالطبع سلما عليها و عانقتهم , هم يعرفانها ولكن لقلة زيارتها فلم يكونا معتادين عليها مثل مها مثلا .

صعدوا جميعا للشقة و بمنتهى الترحيب كانت نورا تستقبل سمر و بسرعة أعدوا الغداء و تبادلا بعض الحديث وهما فى المطبخ أثناء إعداد الطعام , سألت نورا سمر عن أحوالها مع زوجها محمد و كيف تسير حياتها الجديدة , تضحك سمر و تقول لنورا بأنها مثل أم لها تحدثها لتطمئن عليها بالرغم من أن سمر تكبرها فى العمر , هكذا أنت دوما يانورا أم جميلة من الداخل و أجمل من الخارج , ولكن أنسيتى أنى أتممت يا نورا عامى الأربعين , ولكنك لن تتغيرى أبدا فى حنانك على الكل , دوما كانت أمى تقول عنك هكذا .

كانت سمر تتحدث مع نورا وهى تراقبها لتعرف ما طرأ عليها من تغيير , فلاحظت أنها مشرقة , وعيناها تلمعان فرحا مبتسمة دائما , صوتها حنون وهادىء كما تعودت عليها ولكن به رنة فرح جديدة , حتى المنزل مشرق و مفعم بالحياة من لمسات الزهور و الزرع فى الأركان , لم يعد المنزل المنسدل الستائر الخافت الإضاءة دوما ليلا ونهار , ملأ القلق صدر سمر ولكن هى لا تعرف مصدر قلقها بالتحديد , تناولوا الغداء وذهب الصغار لقيلولة , بينما أعدت نورا الشاى و جلست مع سمر فى التراس المطل على النيل و منظر النيل الجميل التى دوما كانت تحب أن تشاهده سمر كلما زارت منزل أخيها .

ترتشف سمر كوب الشاى وتبتسم لنورا لأنها مازالت تتذكر كيف تشرب الشاى وكمية السكر التى تضعها لها , و تبتسم لها نورا مؤكدة أنها لم تنسها أبدا ولم تنس أبدا أيامهما الحلوة معا و كل التفاصيل و

لن تنساها و تصمت ثانية وتتابع , حتى الألم يا سمر مش ممكن أنساه , تنظر سمر للأرض فهى التقطت ما ترمى إليه نورا , ولكن لم ترد نورا أن توجه أى لوم لسمر فتابعت حديثها أنها لم تبتعد عنها لكن المشاغل و الأولاد لكن أكيد أنت دايما على بالى , و تلطف نورا الحديث فتستعيد مع سمر بعض ذكريات أعياد الميلاد التى جمعتهم و الأفراح العائلية و بعض الرحلات والمصايف و تبادلا الضحكات لكن كانت تفتش سمر بين قصص نورا لتجد أى ذكر لأخيها ، ولكن خذلتها نورا ولم تذكر أى شىء عنه فى حديثها , و تسرح سمر لثوانى فلا تلوم نورا لأن هشام كان دائما بعيد , له عالمه الخاص ولو حدث و تذكرت له موقف كان فيه لتذكرت كم هو سىء فى هذا الموقف و كم هو غريب عنهم وهم أهله , فتعجبت و صمتت محدثة نفسها حديثا داخليا ..

" ماذا أقول لهذه المرأة التى أخجل من كونى أخت لزوج مثل أخى , أو بالتحديد أخجل من حديثها معى هكذا و ترحيبها بى رغم كل ما فعله معها هذا الأخ ".

و يقطع الصمت بينهم رنات هاتف نورا و بالطبع المتصل يوسف , لكن هل سترد عليه نورا و كالمراهقات تمثل أنها تتحدث لأحد غيره كصديقة مثلا , أم تخفض صوتها و تقتصر الحديث , ولكن ردت بالفعل ولم تقم من مكانها لترد فى الخارج بعيدا عن سمر وإنما ردت وهى جالسة فى نفس جلستها مع سمر.

نورا : "ألو .. أهلا يوسف أخبارك إيه ؟ ".

يوسف : "ليه رسمى هالقد راح تحاكينى رسمى اليوم " .

نورا : "لا بس عندى ضيوف " .

يوسف: " طيب يا روحى بس تفضى كلمينى ناطرك " .

و الأن وضعت سمر يدها على مركز قلقها منذ دخلت هنا اليوم , فالمكالمة وضحت الخطوط العريضة لسمر , و فهمت لماذا يقلق هشام و سبب قلقه هو سبب إشراق نورا وسر اللمعة فى عينيها .

أنهت سمر الزيارة و ودعت نورا و أخذت حقيبة يدها و انصرفت فى عجلة , وصل لنورا شعور سمر فهى ليست كأخيها محترفة التمثيل , و تأكدت نورا أن زيارة سمر استكشافية بناء على أمر من هشام .

ولكن لم تندم نورا على ردها على يوسف أمام سمر , ولا خطأ فى ذلك , ومن تكون سمر لتحاسبها , فيكفى أنها تعرف أخيها جيدا فبالتأكيد تعرف من الذى أوصل الأمور إلى مواصيلها وما هى عليه الآن .

أخذت نورا تتجول فى المنزل و ترتب الأشياء , أنهت أعمالها فى المنزل و أخذت دشا قبل أن توقظ أبناءها لبدء المذاكرة معهما , ولكن لم يتوقف تفكيرها فيما حدث وفى ردة فعل سمر , دق جرس الباب وكانت مها ..

مها : " هتغيبى عليا هتلاقينى أمامك عالباب من غير حتى تليفون واحد" .

يتعانقان و ترحب بها نورا و تقول ..

نورا : " أنت ربنا بعتك ليا يا مها دلوقتى بالتحديد ".

مها : " طيب الحمد الله أنى وصلت فى ميعادى ".

نورا : " أنا مضطرة أنزل يا مها حالا و ضرورى ومش هتأخر عن ساعتين , و طبعا البيت ليكى والولاد نايمين ".

مها :" موافقة أكيد بس لما ترجعى لازم تفهمينى ".

نورا :" وعد لما أرجع نتكلم فى حاجات أنا عاوزة أحكيهالك ومن غير ما تسالينى ".

و بالطبع كان مشوار نورا المهم والملح ما هو إلا لمنزل سمر , هى ذاهبة لسمر لكن دون أن تعلم ماذا ستقول لها ولما الضرورة فى الذهاب لها من الأساس , لم تكن نورا ناجحة فى لعبة ترتيب الكلمات قبل الحديث بها , كانت تتحدث من داخلها و تقول كل ما تريد دون ترتيب مسبق وهو طبعها بغض النظر عن الموقف , فلم تكن تعلم ماذا ستقول لسمر.

انتهى الطريق من المعادى للمهندسين ووصلت نورا بالفعل لبيت سمر و بالرغم من ازدحام المرور ووقوف التاكسى مدة طويلة فى الإشارات لم تشعر هى أبدا بطول المسافة والمدة من منزلها إلى أن وصلت الآن , صعدت بالفعل و لم تتردد فى دق جرس الباب , كان الباب و ملامح

obeikandl.com

الطابق كله قد تغيرت , لكن برغم التغيير فقدمها تسير و يدها تقصد الباب و تدق عليه دون أى نظرة تشبيه لتتأكد من أنها لم تخطئه , فالعقل يختزن فى الذاكرة الأشياء بالسنوات و كأنه حافظة للأشياء , و لكن السؤال هل الحفظ لكل الأشياء أم للمميز منها .

أخذت سمر بعض الوقت لتفتح الباب ؛ لأن هشام كان يحدثها على الهاتف , بالرغم من أنه كان قد اتفق معها على أن يهاتفها فى العاشرة مساء بتوقيت القاهرة و لكنها فوجئت برنات هاتف المنزل فى الثامنة أو قبلها .

تركت سمر سماعة الهاتف مرفوعة و شقيقها على الخط ينتظرها لدقيقة مثلما طلبت منه لترى من يدق الجرس وهى لم تنتظر زيارة من أحد .

سمر : "نورا !! , مش معقول اتفضلى " .

كانت سمر تنطق بعبارة الترحيب و تطلب منها التفضل بالدخول بينما كانت نورا تحبس الدموع فى عينيها العسليتين الواسعتين اللتين كثيرا ما أزرفن الدمع و البكاء و التنهيدات فى أركان هذا المنزل نفسه و كان وراء الدموع دوما هذا الرجل المنتظر على خط الهاتف .

سمر : " نورا , فى إيه , حصل إيه وليه الدموع دى " .

نورا : " أنا ممكن أفهم كل كلامك من غير ما تنطقى ولا حرف يا سمر , ولا أنت نسيتى يا سمر أنى بأفهم الناس من غير ما يتكلموا , و دايما كانت مشكلتى أنى بأفهم بس كنت بسكت بس خلاص أنا ومن وقت قريب مش بعيد قررت أنى مش هسكت أبدا , أنت يا سمر أكتر واحدة عارفة أنا حبيت هشام أد إيه و اتمسكت بيه أد إيه , مكنش عندى أبدا مشكلة فى أنى أبدأ من الأول وكنت ببدأ فعلا .

الشقة دى تشهد من أيام ماما الله يرحمها كام مرة كلمتنى من وراكى أنت حتى ،و فضلت تصبر فيا وتقولى بكرة يعقل , ده مش عارف قيمتك ولا قيمة النعمة اللى ربنا بعتهاله , و تأمنى و تقولى أوعى يا نورا تسيبى هشام , عشان خاطرى , أنا مامتك يا نورا مش أمه هو بس , وكانت تقوينى و تخلينى أصبر مش عشان أنا غلط وهو صح أو عشان خلاص لازم أسلم بالأمر الواقع , لأ كنت بسمع كلامها عشان هى فعلا أمى و علشان كان عندى أمل يا سمر , عارفة يعنى إيه كان عندى أمل , لكن هو قتل أملى فيه .

أنا مع هشام عمرى ما طلبت غير الممكن يا سمر , عمرى ما طلبت حاجة مش ممكن يعملها أو حتى ممكن بس صعبة , لأ أنا طلبت أساس كل علاقة بين راجل وست وهى الثقة والاخلاص والأمان , مش ممكن حد يعيش طول عمره بياخد ضربات من شخص المفروض أنه يحميه , عمرى ما طلبت غير بس إنه ما يخونيش ما يطعنيش فى ضهرى , دا الحيوان مش بيحتاج غير أكل وحب و أنا معاه محصلتش

حتى الحيوان , كان بيفتكر لمجرد إنى عارفة وكل شىء واضح و بالرغم من كده عايشة و قابلة أو مش فاهمة أو الأصح إنه مش بيفكر أصلا أنا رد فعلى إيه أو بفتكر فيه إيه هو طول الوقت بيتصرف من غير ما يفكر , أنا منكرش أنه بيحب الولاد وهم كمان كانوا متعلقين به لكن هو زى الطير الجامح مش عاوز يلبس دور الأب عاوز دايما يكون حر يعمل كل حاجة وأى حاجة هو عاوزها بدون تفكير الحاجة دى هتأثر على مين و هتدمر مين مش مهم حد غير نفسه , أول مرة أشوف حد بيؤذى كل حد يحبه , بيحرق كل القريبين منه , أنا وأنت وأمه فين إحنا من حياته خدنا من حبه أد إيه خدنا حنانه شفنا رعايته شفنا اهتمام , إحنا زى الطير المحبوس و صاحبه لا بيأكله ويسقيه ولا بيفتحله الباب و يطيره فاكرة كام علاقة دخل فيها وإحنا متجوزين يا سمر ودا اللى اتعرف بس وما خفى كان أعظم , أنا كنت أمه و حبيبته وصاحبته وأم ولاده , وهو كان إيه ليا ؟ كان إيه غير خنجر فى ظهرى من غير رحمة ومن غير سبب , بس الحقيقة هو كان دايما بيضحك فى وشى بيضحك على طول طالما إن معندوش مشاكل فى علاقاته الكتير , لحد إمتى كنت المفروض أصدق إنه راميني هنا أنا والولاد وهو هناك بيشتغل و يصلى علشانا .

أنا خلصت معاه كل الفرص وكل البدايات , لكن أنا مقدرش أفرض على إنسان إنه يحبنى أو على الأقل يحترمنى , دا زى الطفل يلعب باللعبة و أول ما يشوف لعبة غيرها يرميها و يدوس عليها و ياخد الجديدة وهكذا , وكل ده من غير أسباب .

بعد ثورة ٢٥ يناير كنت بنام مع الولاد لوحدنا فى البيت مكنتش بنام من الليل ساعتين من الخوف من الحالة فى الشوارع و الحظر , ولا لو حد من الولاد تعب ولا حصل أى ظرف طارق تفتكرى كل الظروف دى كانت بتعدى عليا لوحدى إزاى مفيش حتى مخلوق ممكن اتصل بيه ينقذنى لو حصل حاجة , كان هو فين ساعتها يا سمر أقصى حاجة عملها إنه اتكلم فى التليفون و يقولى خدى بالك من الولاد , وأنا , أنا يا سمر ما فكرش مين ياخد باله منى , أنا تعبت من دور المسئولة دايما العاقلة المقدرة , أنا أولا وأخيرا ست و كمان وحيدة , هو محتاج يبنى مستقبله عشان كده سافر , طيب وإحنا فين من المستقبل ده ؟ , هو فين يا سمر لما الليل يدخل و يجيب معاه الألم والخيبة و أفضل ألف الشقة لوحدى ، وأتفرج على صورنا القديمة وأقول كانت أيام مش حلوة بس كانت أفضل من دلوقتى , أفضل أكلم نفسى زى المجنونة و دموعى تغرق سريرى مش محتاجة غير بس حضن يضمنى و يطمنى , كان هو فين ساعتها وفى حضن مين ؟

قبل ما تزعلى وتمشى غضبانة منى بسبب مكالمة تليفون قلت فيها اسم راجل , فكرى فى كلامى و كمان فكرى فى اللى ما قلتوش وأنت أكيد عارفة كل حاجة , عارفانى و عارفة أخوكى و عشتى معايا كل حاجة , أنا خلاص يا سمر نزلت من على الرف اللى كان هشام حططنى عليه لما التراب كان خلاص هيخنقنى , و عمرى ما هقبل الرف تانى , بلغيه كل كلامى أنا عارفة كويس إنه كلمك و بعتك بعد ما كلمته وطلبت

الطلاق منه , علشان تنقلى له الصورة والأخبار , انقليله كل كلامى لو سمحتى " .

لم تتفوه سمر بكلمة واحدة ولم تمنع دموعها من أن تنهمر أمام دموع نورا الجارفة وصوتها المبحوح من البكاء و قهر الجرح القديم , ودت سمر لو احتضنتها و ضمتها لتخفف عنها؛ لكن أى حضن ينجح فى تخفيف هذا الألم العميق ومِنْ مَنْ هذا العناق من شقيقة كل من سبب هذا الألم !

أسرعت نورا منصرفة بعد أن أفرغت شحنة ألمها تاركة سمر ثابتة مكانها ..

انصرفت مهرولة على سلم المنزل مغادرة هذا المنزل وداخلها يصيح إنها المغادرة النهائية فلن يكون بعدها قدوم آخر , استقلت سيارة الأجرة طالبة من السائق فقط الخروج من الشارع وسوف تدله على الطريق , تود الخروج من هذا الشارع مقسمة بعدم العودة أبدا .

لكن ليست المشكلة فى الشارع ولا المنزل , وإنما الشارع هو ذكريات كل زيارة لها مع هشام و عراكه و صوته العالى بسبب ضيق الشارع و مشكلة الركنة فيه و الزحام فى رمضان قبل ميعاد الافطار وهم قادمون لتناول الافطار فى بيت العائلة , كانت تفرح للمة وهو كان يضجر من الزحام و خمول بعد الإفطار , و حفلة سبوع كل من أحمد و

ياسمين , وأعياد ميلادهم أيضا , كانت كل هذه الذكريات هى مصدر الألم لا الشارع .

خرجت متمنية نسيان كل هذه الذكريات , لكن لا تعرف كيف !

ولكن هل تنسى نورا فعلا , أو بالأحرى هل هى تقدر على النسيان ؟

ولماذا إلى الآن تتذكر كل هذه التفاصيل حتى رائحة المنزل و تسير فى الشارع وكأنها كانت هنا بالأمس , هل الابتعاد يمحو الذكريات ؟

كل هذه الأسئلة تقفز فى عقلك يا نورا ودون أى إجابة .

أما أنا فأقول أن من ينسى لن يتألم , فالألم للأحياء فقط ؛ لأن الموتى لا يتألمون , وذكريات نورا مع هشام مؤلمة لدرجة أنها تبكى عيناها و تعتصر قلبها , إذن فهى حية ولن تموت , ربما خمدت بالبعد و قلة الحيلة فى التواصل بينهما, ولكن أنا لست نورا فلنتركها تسير إلى ما تريد فلن نملك إلا تعقب سيرها لا رسم الطريق لها .

انتبهت سمر على صوت إنذار التليفون بإغلاق الخط فأيقنت أن هشام سمع كل ما قالته نورا , و ربما هذا أفضل , فكيف كانت ستقص هى عليه ما حدث ؛ و هى الأخرى قد انتقل إليها غضب تجاهه و ناقمة على ما فعله وأوصل اليه هذه المسكينه المذبوحة بسكين حبها له .

لكن الشيء الذى كان يعطى سمر أمل هو أن نورا لم تكن لتقول كل هذا إلا وهى فعلا فى طريق الخلاص منه , فكانت سمر فرحة لها بالرغم من أن ما تتحدث نورا عنه هو أخيها , ومن المسلم به والمتبع أن تأخذ سمر منها موقف لرغبتها فى ترك أخيها , لكن سمر امرأة مثل نورا أولا و أخيرا ،و تعرف ما هو طعم ألم الخيبة فى رجل , و كل كلمة قالتها نورا اخترقت قلبها لأنها صدق .

عادت نورا إلى منزلها و تسمع قبل أن تفتح الباب صوت ضحكات أحمد و ياسمين ومها معهم تعلو , و تدخل فيجرى عليها الثلاثة مرحبين بها كل بطريقته .

وما إن اقتربت مها من نورا حتى صعقت من انتفاخ جفونها واحمرار عينيها حتى رموشها مازالت مبلله من البكاء , احتضنتها مها و أمطرتها بالأسئلة عما حدث ولماذا هى فى هذه الحالة .

ولكن لم تكن نورا تجيب على أيا من أسئلة مها , فحاولت مها تهدئتها واصطحبت الأولاد للمطبخ بحجة تناول العشاء كى لا يتأثرون أكثر بالحالة التى عليها أمهم , و أنهوا عشاءهم و توجه كلًّا منهم لينام , و لم يكفوا عن السؤال عن أمهم وما بها , وهدأتهم مها ،و قالت لهم إن أمهم مريضة قليلا وكانت عند الطبيب و أعطاها إبرة مؤلمة لذلك كانت تبكى !!

ما أسهل التبريرات و الحجج التى نقصها على الأطفال فقط ليتوقفوا عن الإلحاح بالسؤال , حيلة قديمة ومتبعة فى كل بيت،ولكن ياليت الأمور ببساطة ما نقصه على الأطفال و ياليت الفعل بسهولة انطلاق الكلام .

فور أن نام أحمد و ياسمين تركتهم مها و هرعت إلى غرفة نورا لتجدها صامتة هادئة جالسة على كرسى مرآة غرفة نومها الضخم تنظر لنفسها فى المرآة , فمرآتها شريكة لها تتقاسم معها الألم و الفرح , ربتت مها على كتفها و طلبت منها أن تأخذ حمام دافئ و تأتى للجلوس معها و أكيد كل شىء سيكون للأفضل , كان كلام مها و نبرة صوتها الواثقة كفيلة بإرسال موجة سلام إلى قلب نورا .

وبالفعل دخلت نورا و أخذت حماما دافئا و جعلت المياه تنساب عليها فى استسلام؛ و كأنها تريد أن تغسل المياه كل هذا الحزن القادم من عمق الذكريات .

أنهت حمامها و تناولت فوطة كبيرة للتنشيف و جففت جسدها الناعم الممشوق , ووقفت كعادتها أمام المرآة تنظر لنفسها متعجبة لتلك المرأة التى تراها وكيف كانت تعيش و بداخلها هذا الجرح و لماذا كل هذا الألم و كسرة القلب , ألم يكن ما حدث هو ما تريده , ألم تكن تحلم بحياة جديدة هادئة آمنة و ها هى الآن على أعتابها , فلماذا تبكى و أصبح الآن يوسف فى حياتها بل يملأ كل حياتها رجل نادرا ما تقابل مثله , فهو فى ظهرها و لولاه ما أقدمت على الدخول فى هذا المنعطف ,

تتعجب من نفسها ومن حالتها , ولكن تعجب بنفسها فى نفس الوقت بعد ما أفرغت كل ما بداخلها , و انتهت على صوتها المبحوح المنخفض يحدثها " أنت قوية , الطيبة قوة , نقاء القلب قوة , تحمل وحدة السنين و أساها قوة , لن تقف الحياة ما دمنا نتنفس , وما دمنا نحاول ستسير للأفضل دوما , فقط عليكى أن تستمرى "

حديث النفس الإيجابى من الطرق المؤكدة للحصول على القوة الداخلية و السلام الداخلى و جذب كل ما هو إيجابى , وهذا ما كانت قد قرأت عنه نورا ، و ها هى الآن ودون أن تشعر تطبقه على نفسها لتقوى من داخلها و تمد روحها بكل ما هو إيجابى كى يأتى بالفعل و يصير من الواقع .

أنهت بعد ذلك كل طقوس ما بعد الحمام من ترطيب لجسدها بكريم زهرة البرتقال لتنعشها و صففت شعرها و جففته

و خرجت إلى الغرفة لتجد مها جالسة على الكنبة الصغيرة بجانب شباك الغرفة تحتسى شرابا دافئا , و ابتسمت عندما رأتها و قالت لها إنها أحضرت لها بعض الكاموميل الدافىء ليهدئها و يساعدها على الاسترخاء , كانت نورا تريد الذهاب لترى الأولاد ثم تعود , فأبلغتها مها أنهما قد ناما بعد أن تناولا العشاء و فرشوا أسنانهم , فلا تذهبى كى لا توقظيهم و اتركيهم و فى الصباح غدا لا تحدثيهم عن أمس وهم لن يسألوكى فالأطفال سرعان ما ينسون .

فجلست نورا بجانب مها على نفس الكنبة الصغيرة التى لا تساع إلا فردين , وكانت قد هدأت و بدأت أن يتحسن وجهها و شكل عينيها ،و بدأت فى سرد كل تفاصيل ما حدث دون سؤال واحد من مها , من أول مكالمة هشام إلى الآن و بالتالى حكت لها عن يوسف , وكانت مها تسمعها دون مقاطعة , وكانت عيناها تحبس بعض الدمع إلى أن أنهت نورا كل حديثها فعانقتها و بصوت مخنوق من دموع الفرح أخبرتها أن كل ما يسعدها هو أنها قد وجدت نصفها الحلو الذى سيعوضها عن كل ما فات , كما أخبرتها إنها الآن أصبحت أكبر و أنضج من الزيجة الأولى و بالتأكيد سيكون اختيارها هذه المرة أصح , و طمئنتها أن ما تشعر به من ألم و تشتت داخلى ما هو الا ألم مخاض ولادة لحياة جديدة .

ولكن تتحدث مها عن زواج نورا الذى ما زال قائما على أنه قد انتهى , و تذكرها نورا أنها مازالت عالقة و لا تخفى خوفها و قلقها من عناد هشام فلقد جن جنونه لمجرد أنها طلبت الطلاق الرسمى , فما بالك لو عرف أنى أطلب الطلاق منه للزواج برجل آخر ؟!

و تطمئنها مها و تخبرها أن كل شىء سيكون للأفضل و لصالحك يا نورا , فأنت لم تضيعى الفرصة أبدا من يديك مثل هشام بل أنت خالقة كل الفرص و البدء من جديد معه وهو اللامكترث دوما , فكيف بالله عليك يتخلى عنك الحظ و لا يخدمك القدر.

كلمات ناعمة حانية و صادقة , نزلت بالسلام و الهدوء على روح نورا .

خلدت نورا للنوم و بجانبها مها بعد أن بدلت ثيابها و ارتدت ثياب نوم خاصة بنورا , فالوقت قد تأخر و هى لا تريد ترك نورا هذه الليلة .

فى نفس لحظة نوم نورا كان يوسف متجها لمنزل والدته لتناول العشاء معها بعد يوم طويل , كما وعدها و هو يحدثها فى الهاتف , ولكن لم تكن زيارة و عشاء عادى لمجرد رؤية والدته والاطمئنان عليها , هو كذلك لكن بالإضافة إلى كل هذا هو ذاهب ليحدثها عن نورا و يبلغها بسفره لمصر فى الأسبوع المقبل .

ظل يحدث نفسه طوال الطريق و هو ذاهب لمنزل والدته , يشغله كيف سيقص عليها القصة , بل من أين سيبدأ , و انحرف بالسيارة لجانب الطريق و أوقف محرك السيارة و سأل نفسه ماذا سيقول لأمه عن ظروف نورا ،و هو يعرف أن أمه لن تتركه إلا بعد أن تعرف كل شىء و بالتفصيل , ولكن لم يدهشه هذا , ولكن ما أدهشه أنه اكتشف أنه هو نفسه لا يعرف الكثير عن نورا وظروفها , فبدأ يسأل نفسه كيف انتهى زواجها , و أين هو هذا الزوج ووالد أبنائها من حياتهم الآن , ترى هل توفى لذلك لم تحدثنى عنه أبدا , و هل كانت تحبه و تتعلق به , و هل تتقبل أمه الفكرة ، وحيدها سيتزوج من امرأة سبق لها الزواج ولديها من الأبناء اثنين , و مع من تعيش نورا , ومن أين تنفق وهى فى عملها من فترة قليلة , و لكن هو لم يتوقف عند هرم الأسئلة الذى سأله لنفسه وشيده أمامه بقدر ما توقف عند سؤال واحد وأخذ

يعيده على نفسه أكثر من مرة " أين هذا الزوج , و لماذا تركها , ولو هى من تركته فلماذا أيضا ؟!"

كان سؤال يوسف لنفسه ليس ليعلم تفاصيل يمكن أن تدين نورا، و لكن كان يسأل نفسه هل رجل عاقل يترك هذا الملاك الجميل المتجسد فى امرأة , فهكذا كان يوسف يرى نورا دوما .

و لكنه تابع السير بالسيارة و الأفكار تتابع دورانها فى رأسه كالإعصار حتى وصل إلى بيت والدته .

دق جرس الباب و تابع النقر على الباب الخشبى الضخم كعادته لتأتى فورا فادية لتفتح الباب و تشده من رقبته لتخفض طوله فتعانقه و يشد هو فى العناق و الضحك و تلومه على الغيبة و عدم السؤال لفترات طويلة فهى لا يكفيها حديث الهاتف معها ومع أمه للاطمئنان عليهما , فهى أمه الثانية , أمه التى ربته و عاشت مع الأسرة كواحدة منهم حتى صار ابنها رجلا فلا يأتى لزيارتهم إلا مرة كل شهر أو أقل بقليل ليزورهم لمدة ساعتين ثم يرحل .

يأتى صوت أمه من الداخل و هى تقول ..

" الحمد الله فادية ما فلحت تربيتك "

و يدخل هذا الرجل طويل القامة شديد الوسامة والطيبة لينقض على أمه فى جلستها مقبلا إياها بسيل من القبلات، و تعلو الضحكات

فى البيت الهادئ وتمزح معه والدته فتقول إن الجيران فى الفيلات المحيطة يعلمون بقدوم يوسف من طلوع صوت من هذا البيت و إنارة كل أضواء المنزل , و تلومه لإصراره على عدم العيش معها , و يكسر يوسف هذا الإلحاح منها على قدومه للعيش معها بخفة ظله و حديثه عن ذكريات الماضى و الطفولة و أبيه فى هذا البيت , هذا البيت الذى لم يعد فيه إلا أمه وفادية , و يتحدثون على الطعام والعشاء أكثر من تناولهم له , و تصيح فى وجهه فادية ..

" والله ما راح حل عنك إلا و أنت مخلص عا كل الأكل , أنا يلى عملته كله بإيديا "

و ترد عليها أمه ..

" منشان هيك ما أكل , بدك تعرفى إن أكلك كتير بشع "

و تعلو ضحكاتهم وكأنها ليلة عيد أو رأس السنة , و تتركهم فادية لينفردا ببعضهما سويا و تذهب لإعداد القهوة , فيجلس يوسف مقتربا من والدته بل ملتصقا فيها و يلف ذراعه حولها و يقبلها فتضمه ثم تبعد و تنظر فى عينيه التى كثيرا ما تشبه عينيها فى لونها واتساعها و تقول له ..

" يلا خبرنى شو هو يلى بدك تحكيلى عنه "

يبتسم ويدير وجهه ليهرب من نظرتها التى لم تخطئ أبدا فهم عينيه , و تلح عليه ..

"يلا خبرنى عم بتمثل إنك مستحى , آل يعنى أنت بتستحى أصلا "

و يفاجأها مختصرا ما بداخله ..

" أمى أنا بحب , لا أنا ما بحب أنا عشقان وواقع , وبدى أتزوجها اليوم قبل بكره "

و تفاجئه أمه هى الأخرى و لا تسأله عن أشياء كان يتوقع أن تسأله عنها و ما هى إلا و تضمه لصدرها مباركة لكل شىء و داعية الله أن يعطيه أكثر مما يتمنى و شاكرة الله أنها عاشت حتى رأت فرحة العشق فى عين وحيدها ورنة الفرح فى صوته من جديد , كم كانت تدعو الله وتتمنى ألا تفارق الحياة تاركة ابنها الوحيد دون شريكة و بيت ودفء أسرة هو ربها .

و أثناء تناولهم للقهوة أبلغها يوسف أنه يعد السفر لمصر الأسبوع المقبل , و حينها أبلغها أن معشوقته امرأة مصرية , فتتنهد أمه ،و تقول له مصر حلوة وناسها حلوين و طيبين ما بتحس أبدا وأنت بينهم إنك غريب , و تحدثه عن زيارتها مع أبوه لمصر وهو ما زال طفلا وحتى بعد ما كبر كانا يزوران مصر و يصحبانه معهم .

و كما أمه كانت تفهمه دون أن يتكلم هو أيضا هكذا معها , فلمح من عينيها نظرة قلق و خوف من أن يترك بيروت ويتركها للعيش فى مصر , و يرد هو على سؤالها الذى لم تسأله ..

" أمى راح نيجى أنا و نورا و بنعيش كلنا فى لبنان و ما راح أتركك أبدا يا أمى خلاص كفايانا وحدة و حزن أنت و هى وأنا ما راح نعيش إلا مع بعض ومعانا الفرح "

و تلاحقه أمه بالحديث عن ميعاد سفره و عن تفاصيل كثيرة , ويفهم هو أنها تريد أن تمشى و تأخذه بعيدا عن سنين حزن ماضية , بعيد عن زكريات كارلا و تركها له و فور أن فهم يوسف طمأنها " لا يا أمى لا تخافى , أنا خلاص شفيت منها"

و لا تقدر هى على حبس الدموع فى عينيها فتنزل دمعه ساخنة ملتهبة بنار الماضى و تقول له ..

" و أنا كمان مثلك شفيت لما أنت شفيت يا ابنى , روح الله يرضى عليك و يعوضك خير فى حبيبتك و يحميها ليك , قديش اسمها حلو , إنشاالله تكون نورا نور عليك وعلينا كلنا يا يوسف , إنشاالله بعيش لما بشوف ابنك من نورا عم بيهد البيت جرى , إنشاالله بعيش لما بشوف ضحكة مرتك لما تفتح الباب وراجع ليها وليا , إنشاالله بعيش يا يوسف و بسمع ضحكك و مرتك فى بيتى يارب "

كلمات من القلب كم هى جميلة وصادقة و بالرغم من صدقها و عذوبتها ما زال فى القلب أكثر.

و يرد هو ..

" بس بتشوفيها و بتعرفيها والله يا أمى راح تحبيها مثلى و أكثر , أنا يا أمى دايب فيها و فى حنانها و ذوقها و رقتها , بالمختصر هى روح حلوة "

" من قبل ما شوفها حبيتها و الله حبيتها من حبك ليها , كفاية هى يلى رجعتلى ابنى و رجعتله ضحكته ولمعة عينيه "

أبلغ يوسف أمه أنه سوف يقترح على نورا القدوم لبيروت فى رأس السنة لتقضيها معه ومع أمه , وترحب أمه و تؤكد أنها أكيد ستكون سنة من أحلى سنين العمر.

يضحك يوسف و يرد ..

" خلاص راح تيجى اطمنى أصلا مش بعيد راح يمكن ترجع معى وأنا راجع , ابنك ما نو قليل , ما أنا أتحب أصلا , ولا إيه يا مجود "

تضحك و تقول له ..

" و كأنى بسمع صوت أبيك عم بيرن فى البيت و يناديني مجودة , تعرف ولا مرة نادانى ماجدة , حتى واحنا مختلفين ما كان يوجهلى حديث باسمى عشان ما يقولى ماجدة فأحس إنه كتير جد وغضبان ولا

ينادينى مجودة فا أعرف إنه خلاص مرئت , فا كان كتير ذكى يكلمنى من غير ما ينادينى ولا يسمي"

اكملا ليلتهما و معهم فادية فى حديث عن ذكريات الماضى و إحضار ألبومات الصور القديمة و حديث لا ينتهى و لا يخلو حديثهم من سيرة نورا،و ظل الكل يتحدث عنها مع يوسف و كأنهم يعرفونها من سنين , سيقضى يوسف هذه الليلة عند أمه للصباح و يذهب لعمله من بيت والدته فلن يعود للمبيت والنوم فى منزله فهو يريد أن يكمل لأمه فرحتها بنومه عندها هذه الليلة .

استيقظت مها من ضوء الشمس المنبعث من خلف ستارة غرفة نوم نورا , فنظرت بجانبها فلم تجد نورا و تنظر للساعة فتجدها الثامنة والنصف فتنهض لتجد المنزل هادئ و لا أحد بالمنزل , فأدركت أن نورا لم ترد إزعاجها فتركتها نائمة وذهبت لعملها و الأولاد لمدرستهم .

رتبت مها الغرفة و فتحت الشباك لتجدد الهواء و تجعل الشمس تدخل منه و ذهبت للمطبخ لإعداد قهوتها الصباحية فأعدتها و ذهبت لتناولها فى التراس و دقت الهاتف لنورا ..

نورا : " محبتش أصحيكى بدرى خدى راحتك وأوعى تمشى إلا لما نرجع ".

و سألت مها نورا عما إذا كانت أفضل من أمس , وأكدت نورا أنها فى أفضل حال و شكرت مها لكونها معها .

لكن ما يدهش نورا و يقلقها فى نفس الوقت هو عدم اتصال يوسف إلى الآن وهو عودها على مكالمة أو إرسال رسالة صباحية لها كل يوم , فترى ماذا حدث وأين هو ؟

رن هاتفها وهى فى طريق عودتها للمنزل لتجد رقم يوسف فترد فورا , و يسألها يوسف عن أحوالها و الأولاد ، يكمل حديثه معها دون أى خبر عن زيارته و هل حدد ميعاد قدومه أم لا ، هو يتجاهل الموضوع وهى تنتظر شوقا وهو يسعده احساسه بشوقها لقدومه .

و يستمر على نفس النغمة و يغلق معها الهاتف و لم يتغير صوته أبدا لكنه يضحك فى كل مرة يحدثها فيها دون أن يبلغها بميعاد قدومه .

تعود هى للبيت بعد كل يوم من العمل صامته و تتابع كل ما عليها من مهام فى المنزل وترهق نفسها فى العمل كى تشوش على تفكيرها فى يوسف وزيارته المؤجلة , و تنشغل فى الحديث مع مها و الأولاد و تحاول التزام الهدوء وعدم الحديث فى أى أشياء تزعجها أو تضعها تحت ضغط , فيكفى ما يدور فى تفكيرها من أفكار تضغط عليها من فكرة عدم قدوم يوسف مثلما وعدها و ردة فعله الباردة بعدما أبلغها بعدم قدومه و كأن خبر قدومه من عدمه بالشىء العادى .

مر يومان كان قد هاتفها فيهم يوسف كعادته و لكنه لم يفتح معها أى حديث عن عدم قدومه وكان حديثه فى كل شىء ما عدا هذا الموضوع

و الغريب أنها كانت لاتريد سماع شيء منه إلا فيما يخص هذا الموضوع .

كان الغضب يقفز من عينيها أثناء حديثها معه عبر الهاتف بينما كان يبتسم سرا وهو يلمح بين ثنايا حديثها معه كم هى تود لو تسأله لماذا لم يأت و كانت نبرة صوتها كلها لوم له , كان يضحك كاتما أنفاسه كى لا تلاحظ مثل طفل يعرف كم تخاف عليه أمه فيجرى ليختفى عن نظرها لتقلق عليه ولا تكف عن البحث عنه و مناداته و يتلذذ هو فى مراقبتها و الضحك من بعيد .

كان ما يريده من ذلك كله أن يشبع روحه من إحساس أن هناك شخصا يحبه , يتشوق لرؤيته , ينتظره , يتلهف على لقائه , فكم هو حلو هذا الشعور أن تغيب فتعلم أن هناك من ينتظرك من يحسب لمجيئك , كم هو سعيد كل شخص لديه من ينتظره فى غيابه و يحسب لقدومه .

حاولت سمر الاتصال بنورا أكثر من مرة لكن لم تفلح محاولتها , فنورا لن تجيب عليها كى لا تعطيها الفرصة فى أن تكون جسر بينها و بين أخيها .

لكن السؤال هنا , هل تخاف نورا أن تضعف أمام إلحاح زوجها و شقيقته عليها برجوع الأمور إلى نصابها , و لو أنها تخاف من هذا فعلا

فلماذا ألم تقل إن كل شيء قد انتهى ؟ و هل انتهاء الأشياء يكون بقرارنا أنها انتهت ؟

عن نفسى أرى أن القرار بإنهاء الشيء لا يعنى بالضرورة نهايته !!

أما هشام و آه من هشام و ما حل به , و كأنه أوشك على أن يفقد عقله من التفكير و لم يعد أبدا هشام الذى يمسك بجميع كروته و يعرف فى أى وقت يلعب بأى كارت لينهى اللعبة دوما لصالحه .

أصبح مشوش التفكير لا يعرف كيف يرتب أفكاره ولا من أين يبدأ , و الأغرب عليه أنه لم يكن يعلم لماذا كل هذا الذى ينتابه و هل كل هذا الذى هو فيه بسبب نورا , وهو الذى تركها و ترك البلد بأكملها بإرادته ومنذ أن وصل نيويورك و بدأ و استقر فى العمل و بدأ فى بناء حياته لم تمر عليه لحظة ندم واحدة و شعر فيها أنه يود أن يرسل لنورا لتأتى للعيش معه , يندهش من نفسه و هو الذى كان لا يفكر فيها من الأساس لم تمر على باله بالأيام بل بالشهور فماذا حل به بعد طلبها للطلاق منه , وما هذا الحزن و الاكتئاب وهو المتفائل المقبل على الحياة دوما , ربما لأنه تركها بدون مشاكل , و قتل ذاكرته بحثا عن شيء يتذكره أخطأت فيه هذه المرأة , يزداد غضبه كلما فتش و لم يجد شيئا يغضبه منها , وهل يمكن أن يكون السبب لما هو فيه أنه ضحى بالمضمون فى مقابل اللاشيء , كل هذا يعصف بتفكيره فأوصله لحالة لم يمر بها من قبل وهو المعروف عنه القوة و السرعة فى اتخاذ القرارات و الأهم من ذلك أنه تذكر قول نورا له ووصفها له بأنه دائما

يسير ،و ينظر للأمام دون النظر لما يخلفه وراءه أو ما يدوس عليه , و تذكر أيضا قولها له فى أنها كم تود أن تصبح مثله تسير فى طريقها لا تأبه لأحد سوى نفسها هى و فقط , ولا تنظر وراءها هل من أحد ينتظرها و يجب عليها العودة من أجله هل هناك من يتألم و يتحتم عليها مساعدته و ماذا لو هى مصدر الألم فعليها رفع ما يؤلم فورا .

تذكر حديثها هذا له من سنوات ماضية و فهم الآن ما كانت ترمى إليه , ليته ما تذكر ولا فهم , أبكاه صوتها وحديثها حينما فهمه و لعن نفسه ألف مرة كم جرح هذه المرأة .

أدرك الأن أنها تعلمت منه أخيرا و بدأت تعامله بكل ما تعلمته منه .

هل هذا الذابل الباكى هو هشام , هل تبدل فى وقت قصير , أم أنه لم يتبدل و هو كما هو دوما ولكن كسرت قشرته التى يغلف بها نفسه .

لماذا نصنع بأيدينا قشرة لنغلف بها ما نحن عليه , معذور من يلبس القشرة ليخفى داخله السىء , و لا عذر لمن يلبس قشرة تحجب نور داخله .

و صل هشام بذاكرته لعين الدوامة و لم يفلح فى إيقافها , و لم تفلح محاولات كل النساء التى يعرفهن .

نعم كل النساء التى يعرفهن فى نفس الوقت !

كانت نورا تحسبه كرجل يحب امرأة أخرى و يترك زوجته , وهذا يحدث و متعارف عليه وليس فى مجتماعاتنا الشرقية فقط بل و فى الغرب المثالى أيضا , فهى يا سادة طابع ذكورى تختلف الطرق و الأسباب و العادات والتقاليد و نظرة المجتمع من انتقاد أو دعم و تبرير ولكن الأصل فى الذكر واحد و لو أن هناك شواذ قاعدة ولكنهم ندرة .

لكن هشام ليس مثل ما نتحدث عنهم من هؤلاء الرجال , إنما هشام كان مفرط فى حب نفسه , و يغدق عليها بالاهتمام , و هو لم يسافر و يتركها من أجل امرأة بعينها , فهو الذى له قصة مع كل امراة قابلها و لو حتى بالصدفة فهو يرمى الشبكة لإقامة علاقة و لو لم تفلح محاولته و لم تكتمل العلاقة فهو لا يقصر و يفعل ما عليه و يحاول , و للحق هو كان مجتهدا و مثابرا و لم يفلت أبدا فرصة !!

بعد فشل محاولات سمر مع نورا هاتفت هشام مرة واحدة و قالت له:

"سيبها يا هشام , سيبها تعيش زيك , دى بشر زيك وليها حق فى أنها تعيش حياتها , ولا هى مش روح ومشاعر , حرام عليك , أنا عارفة عنك كل حرف نطقت به نورا لكن سماعى لكلام أنا عارفاه و جعنى يا هشام , سيب نورا تعيش يا هشام و كفاية كده و أنا عمرى ما هالومها أبدا مهما عملت "

ظل هشام ما يقرب من يوم كامل يبحث عن صفحة لنورا على موقع Face book و نجح بالفعل فى إيجاد صفحتها ،و قرأ الكثير و الكثير من

كتاباتها الخاصة و ما تقتبسه أحيانا ،و شاهد أيضا صور أحمد و ياسمين و صورها معهم , كم سعد برؤية أولادة وقد كبروا و كم حزن لكنه لم يراهم أمام عينه و هم يكبرون ,و تأمل فى صورها لوقت طويل كم هى امرأة جميلة و لكن بعيون حزينة , و هو رجل خبرة فى النساء و مرت عليه الكثيرات فعرف الآن والآن فقط كم هى مميزة , لام نفسه كل اللوم عن هجره لامرأة عاش معها دون أن يعطى نفسه الفرصة حتى لاكتشافها و معرفة كم هى نادرة , عرف الآن فقط أن زوجته جميلة ولكن محترمة , أم و لكن بروح طفل , ذكية و بريئة , كم تفنن فى فقدانها هى و أطفاله , كم فقد بإرادته و دون أى ظروف أسرة يتمناها أى رجل عاقل .

يسأل هشام لنفسه سؤال و يقف عنده , ماذا سأفعل هل أقبل ما لا أريد فعله , هل فات الوقت , أم ما زال هناك ما يمكننى فعله؟

قضت نورا عطلة الأسبوع مع أولادها و مها , فكانت مها فى الفترة الأخيرة قريبة جدا من نورا و لا تتركها أبدا , و دائمة الزيارات و المبيت عندها ؛ فهى امرأة وحيدة و ليس عندها أولاد تزوجت مرتين و لم تنجب , لذلك هى تشعر بالأسرة و دفئها بين نورا و أولادها , وكانت دائما تردد لنورا أن القرابة ليست بالدم فقط .

بدأ أسبوع جديد و ذهبت نورا لعملها و كانت قد أصبحت متأقلمة على العمل و تربطها علاقة ود بكل فريق العمل فى المدرسة .

يرن هاتف نورا المحمول فتنظر لرقم المتصل و لا تجيب فهو رقم لا تعرفه ،ليست مها ولا مدرسة الأولاد ولا حتى سمر أو هشام , فلم تجب نورا .

و مرة أخرى يرن الهاتف ،و كانت نورا أنهت حصتها و متوجهه لغرفة المدرسين و بإصرار المتصل فترد نورا لتعرف من يتصل بها ..

نورا : ألو

المتصل : ألو حبيبى شو ما بدك تردى عليا !

و يتبع الجملة ضحكته المميزة لأذنها التى لا تخطئها أبدا هى و صوته .

تندهش نورا , إنه يوسف ! نعم إنه هو و لكن ما هذا الرقم !!

يوسف : روحى شو بكى , أنا بمصر حبيبتى .

صعقت نورا و كأنها تواجه مزحة من يوسف فتنزل الهاتف من على أذنها لتنظر و تحدق فى الرقم الذى يحدثها منه , بالفعل هو رقم من داخل مصر.

نورا : أنت بتتكلم منين ؟ يوسف أنت مجنون , جيت إمتى و ليه ما قلتش ؟!

يوسف : أنا لساتنى واصل و عم بكلمك من المطار, يلا تعالى ولا ما راح تيجى تستقبلينى ؟!

obeikandi.com

نورا : طيب أنا حالا هخرج من المدرسة و هاجى بس أكلمك إزاى علشان أوصلك ؟؟

يوسف : راح خلص أوراق و بستناكى فى كافيتيريا بجانب باب الخروج من صالة الوصول , و كلمينى على نفس الرقم , هو رقمى المصرى .

نورا : طيب حبيبى.

يوسف : و مافى داعى أقولك شو لابس و كيف شعرى و طولى؛ لأنك أكيد راح تعرفينى يا عمرى.

نورا : متخافش هعرفك.

يوسف : تمام حبيبتى أنا منتظرك لا تغيبى يلا باى مؤقتا .

تطير نورا بقدميها فوق الأرض و فى ثوانى حصلت على إذن و أجازة لليوم التالى , و جرت مسرعة تاركة المدرسة و فورا أوقفت التاكسى متوجهةإلى المطار.

ظلت عاتبة عليه فقط لو أخبرها بميعاد وصوله لاهتمت و زينت نفسها كيف تقابله لأول مرة مرتدية الجينز و سويت شيرت و حزاء رياضى ..

"والله و كأنى داخلة النادى مش رايحة أقابل حبيبى لأول مرة " هكذا حدثت نفسها .

obeikandl.com

فكت رباط شعرها لينسدل شعرها البنى الطويل على ظهرها و أخرجت من حقيبة يدها مرآة صغيرة لتنظر لنفسها فتجد وجهها يضحك دون أن تدرى فاتسعت ضحكتها , لم تكن حتى مستعدة و حاملة معها بعض أدوات الماكياج كى يمكنها و ضع القليل منها , و لكنها اكتفت بوضع مرطب للشفاة فلمعت شفتاها اللتان بلون الخوخ و خلعت نظارتها الشمسية كى ترى بوضوح دون ارتباك .

كان قد انتهى يوسف من جميع أوراقه فى صالة الوصول , و توجه إلى باب الخروج باحثا عن الكافيتيريا , وجدها بالفعل و جلس وطلب القهوة و اختار طاولة فى ركن داخلى بالرغم من أن هناك أكثر من طاولة فى مقدمة المدخل و لكنه اختار هذا الركن ليراقب المدخل من بعيد بوضوح .

و لكن ما كان يشغل بال يوسف فى اللقاء الأول مع حبيبته ليس مظهره كما كانت تنشغل نورا بمظهرها ،و لكنه كان يفكر فى لحظة لقائه بها كيف ستكون ؟ و ماذا يريد هو أن يكون اللقاء , ولكن ما يريده هو ربما يجرح شعورها , عن نفسه ود لو احتضنها و قبلها و ضمها بقوة و تنفس أنفاسها و لكنه يعلم جيدا كم هى خجولة ورقيقة , فظل يسأل نفسه هل يسلم عليها باليد و يبتسم لها و يكتفى , أم يسلم عليها و يقبل يدها , أم يحضنها و يقبلها على الجانبين مثل الأصدقاء , أم ماذا سأفعل .

وصلت نورا إلى المطار وأخذت تسأل عن كيفية الوصول لصالة الخطوط القادم هو عليها و بالفعل وصلت لصالة الوصول مثلما قال لها على الهاتف , تحاول نورا أن تسيطر على ارتباكها ولكن قلبها سيقفز من تسارع دقاته .

ما كان يطمئن نورا نوعا ما هو اتصالها بمها وهى فى طريقها إلى المطار، و طلبت منها الذهاب للمنزل لانتظار الأولاد , وافقت مها بالفعل و لكن كانت سعادتها الأكبر لقدوم يوسف , لم تغلق مها الخط مع نورا إلا بعد أن قطعت نورا وعد بأن تقص عليها كل شىء سيحدث منذ أن تقابل يوسف .

وجدت نورا الكافيتيريا التى وصفها لها يوسف و توجهت إليها بالفعل ،ولكن ومن الخارج وهى تقترب منها بدت و كأنها خالية فهناك ثلاث طاولات فى مقدمة المدخل ، ولم يجلس على أية منهم أحد , حدثت نفسها ربما لم ينته من إجراءات وصوله بعد , سأجلس و أنتظره أنا وهذا أفضل فيكون عاتق التعرف على منه هو .

قصدت إحدى الطاولات لتجلس عليها وتلقى نظرة على باقى الطاولات فى الداخل لتجد إحدى الطاولات يجلس عليها زوج وزوجة و طفلاهما , و أخرى بها شاب وفتاة وإذا بها تلف عينيها لتقع نظرتها على الركن ناحية اليمين ووجه ينظر لها مبتسما مراقبا صامتا , يزداد تسارع ضربات قلبها ..

" هو أيوه هو يوسف"

ينهض من جلسته هذا المبتسم مضيء العينين من بعيد و يخرج قليلا عن الطاولة ليستقبلها و تقترب هى منه ،يمد ذراعيه مفتوحين فلا يترك لها أى خيار إلا لعناق سريع و قبلتين على الجانبين فى نفس سرعة العناق , يحدث هذا بين الأصدقاء دوما، و ربما لم يتذكر أحد منهم تفاصيله ولا يقدر على وصفه , ولكن هل عناق الأصدقاء السريع و قبلات الوجنتين كانت لأصدقاء , لا أظن , فهو بعناق ثوانى قد ملأ رئتيه برائحة شعرها و ملابسها و حتى هى و كأنها فى هذه الثوانى المعدودة قد سجلت حرارة جسده ورائحته المميزة حتى طوله الفارق عنها الكثير , أخذها العناق لعالم آخر , أما يوسف فأفسح لها الكرسى لتجلس .

كان طيلة الوقت يحدق بها وهى محاولة بكل الطرق الهروب من نظراته المخترقة داخلها , و ظل صامتا طويلا حتى لو تخلل هذا الصمت بعض العبارات القصيرة , لكن كانت عيناه بالرغم من صمته تفضحانه , عيناه التى لم تستطع نورا أن تحدد لونهما الفعلى فهى ما بين الرمادى و الأزرق , و الأجمل من لون عينيه هى نظرة العشق التى تنطلق من عينيه .

يقطع الصمت فجأة و يسألها :

" طلعت مثل ما أنا ولا أبشع ؟"

تضحك من الخجل و تنفى بإيمائه من رأسها دون كلام .

لم يكتف بهذا القدر وهو العاشق لرقتها و خجلها فيسألها ملحا:

" طيب شو يلى طلع فيا و أنت ما كنت بتلاحظيه "

تبتسم ولكن ترد هذه المرة

نورا : " أنت أطول مما توقعت "

ينفجر بضحكته العالية فيزداد وجهها احمرارا و يقول لها :

" لا حبيبتى هى يلى طلعت قصيرة و صغيرة و رقيقة و شكلك أصغر من ياسمين بنوتك "

يطلب لها من النادل عصير ليمون .

يوسف : " طلبت لك ليمونادة , لتهدى شوى أنا بعرف أنى كتير فاجأتك"

نورا : " ليه ما قلتش إنك جاى "

يوسف : " لشوف هالهفة يلى بعيونك و ها الفرحة و هالحب و هالمعة , نورا أنت ما أحلاك و ما أحلى عيونك , تعرفى عيونك كتير حلوين , و أحلى ما فيهم براءتهم "

obeikandl.com

يمسك بيدها فتخجل لكن تستسلم ليديه لتحتوى يديها الصغيرتين ،و يمدها بدفء يده و يسألها " ليش إيدك باردة كل هالأد , و يلحق سؤاله بالإجابة , أنا بعرف ليش إيديك باردة يا روحى أنت "

ينحنى على يدها و يقبلها بكل حنان و كأنه يطبق على فراشة فى منتهى الجمال و الرقة و كم يخشى عليها بقدر حبه لها , يعرف جيدا أن الفراشات تعشق الطيران حرة .

و تدرك هى فى هذه اللحظة أن السر فى كل شىء هو الحب , فالحنان و الرقة و الاحتواء هم جميعا أبناء الحب فلو أتى الأصل أتت منه كل الفروع .

تكلم معها فى أشياء كثيرة , و أخبرها كم هو مشتاق لرؤية أحمد و ياسمين , و كم هو حريص على أن يتعلقوا به فى هذه الزيارة , و تكلم معها أيضا عن أمه ،و كم هى مشتاقة لرؤيتها منذ أن تحدث معها عنها فى زيارته الأخيرة لها قبل سفره لمصر و كم أحبتها أمه من حديثه عنها فماذا عندما تراها , ستأخذها أسيرة فى بيروت , لم تختف خفة ظله أبدا حتى فى جاد الحديث .

كان الصمت بينهم أكثر من الحديث لكن لم يدر يوسف عينيه عنها أبدا ولو ثانية , و بالرغم من صمتهما إلا أن كل منهم يسمع صوت داخل الآخر , فبين العاشقين الصمت هو صوت داخلهم و عيناهم هى النافذة على هذا الداخل .

مرت ساعتان و كأنهم دقائق و طلبت نورا منه أن تتركه فبالتأكيد هو فى حاجة إلى الراحة , و سألته أين سيقيم , فأخبرها أنه قد حجز فى أحد الأوتيلات فى منطقة جاردن سيتى كى يكون قريب من منطقة المعادى حيث منزلها , فابتسمت من ملاحظته فرد عليها دون أن تسأله موضحا لها أنه لا يغفل أى كلمة هى تقولها ،و هى فى حديث سابق معه قالت إنها تسكن فى المعادى و بالتالى أثناء الحجز حاول أن يجد حجز فى أوتيل قريب ,و بالفعل حجز فى هذا الأوتيل فى منطقة جاردن سيتى ليكون قريبا من المعادى .

تركا الكافيتيريا الشاهدة على أول لقاء لهما , و طلب يوسف منها أن تدعيه اليوم ليأتى لزيارتها فى المنزل حيث يود زيارة الأولاد , ولم تستطع إلا القبول , خرجا سويا و كان فى استقباله سائق بسيارة سياحة خاصة كان قد حجزها عن طريق الأوتيل , طلب منها أن يوصلها أولا ليعرف طريق المنزل حتى يستطيع المجىء فى المساء .

جلسا سويا فى المقعد الخلفى , و صفت نورا الطريق للسائق , و كان الطريق من مطار القاهرة للمعادى طويل , لم يفلت يوسف يد نورا حيث شبك أصابعها فى أصابعه , وظل يتحدث معها عن زياراته السابقة لمصر و حبه لها ،و كان يشير بيدها فى يده إلى أماكن يعرفها كانت تمر أثناء سير السيارة .

و صلوا للمنزل , أبدى يوسف إعجابه بالشارع الهادىء و الفيلات والعمارات الصغيرة على جانبى الشارع , نزل من السيارة ليودعها ,

لكنه لم يقبلها كما فى المطار , فهو لم يخطىء أبدا قراءة عينيها التى كانت تخاف أن يراها أحد , فسلم عليها باليد و عاد للسيارة وودعها على لقاء آخر فى المساء ملوحا بيده و عاد للسيارة .

ذهب يوسف للفندق و لكن قلبه و عقله تركهما مع نورا , مندهشا من نفسه لم تتعد مقابلته لها الثلاث ساعات وكانت كفيله بأسره , و كأنه التائه فى بلاد لا يعرفها ولا يعرف فيها أحد ولا حتى يتحدث لغة من فيها و فجأة سمع صوت من بعيد و كلام يشبه كلامه فذهب متتبعا هذا الصوت فوجد وحيدا مثله تماما ينتظره هو الآخر بلهفه لا تقل عن لهفته.

لم تلفظ نورا أى كلمة حب أو اشتياق أو سعادة بقدومه ورؤيتها له , لكنه استطاع أن يقرأ عينيها و يخترقهم إلى داخلها , فكم من دقائق مرت عليهما فى صمت لكنه أبدا لم يكن كذلك بل كان حديث من روح لروح دون أى وسيط , شعر كل منهما وقتها و كأن رباط أقوى من أى ظروف و كل البشر قد ربط بينهما و كأن كل منهما هو ماء للآخر , ولا حديث عن العيش بدون الماء .

صعدت نورا إلى منزلها والابتسامة لا تفارقها كرائحة يوسف ودفء يده و لمعة الحب فى عينيه , ما هذا الرجل وكيف جمع هذا المزيج من الجرأة والخجل و الجد والمرح و المكر والصدق و كل هذا لا يكون شيئا أمام فيض حنانه , حنون لأقصى درجة , مزيج سحرى غريب لن تجده إلا عند القليل من البشر ومنهم هذا الرجل , كيف له أن يحضنها و

يقبلها و يضمها لقلبه بكل هذا العنف والرقة فى نفس الوقت و دون أن يلمسها حتى , فقط عيناه من فعلت بها ذلك ..

كيف أهداها روح جديدة أهداها نفسها من جديد أهداها ما لا يقدر بثمن و هو الأمان , فهى فقط أحست بالأمان وهى معه , ما أجمل أن تشعر بالأمان فقط لوجود شخص بعينه معك بجانبك و الأجمل أن يحبك هذا الشخص وأنت تبادله الحب , فكل هذا جمعه يوسف و أهداه لنورا .

فتحت باب الشقة و كأنها القادمة من عالم جديد كله لها وحدها , ولكن أين أحمد , ياسمين و مها , لا أحد بالمنزل , فتدق الهاتف متصله بمها و ترد عليها مها و بخفة ظلها المعهودة تلومها فكيف كانت ستنتظرها و تأخذ الأولاد للشقة دون مفتاح , فهى لم تترك المفتاح لمها , لكن مها انتظرت سيارة المدرسة تحت المنزل و بالفعل أخذت الأولاد فى سيارتها و ذهبوا جميعا لتناول الغداء فى الخارج و انتظار عودة أمهم , و طمأنتها مها أنهم بخير و أنها سوف تأتى بهم إلى المنزل الآن طالما أنها بالمنزل .

وصلوا للمنزل و لكن الوقت ضيق فسيأتى يوسف فى الثامنة كما وعدها ،و عليها إعداد العشاء و ارتداء ثوب يليق بأمسية كهذه و الأصعب هو التمهيد لأبنائها وهما لم يعتادا زيارة أحد لهما فى المنزل , ألقت نورا فى وجه مها كل هذا لكى تساعدها و ترتب ما يلزم فهى ستكون حتما أجدر من نورا و أقل ارتباكا , و بالفعل لم ترتبك مها أبدا

أمام فرحة نورا ،و طلبت منها أن تذهب هى للاستعداد و تترك لها أمر العشاء و المطبخ، والأولاد سوف يأخذون حماما و ينامون لساعتين على الأقل ولا داعى للقلق , و اقترحت مها أن تأخذ الأولاد عندها هذه الليلة قبل أن يأتى يوسف فصاحت نورا :"

لأ طبعا أنت فهمتينى غلط يا مها , أصلا يوسف طلب منى أنه يجى البيت علشان يشوف الولاد لكن أنا مشكلتى أنى هاأقولهم ده مين".

و ترد مها :

" آه أنا فهمت , طيب شوفى ده قريبى أنا و جه يزورنى و أنا مش فى البيت و كلمنى و أنا طلبت منه أنه يعدى عليا هنا عندك ".

ارتاحت نورا إلى حد ما لاقتراح مها و قبلت به و دخلت لغرفتها لأخذ حمام والاستعداد , أما مها فاحتلت المطبخ لتنهى مهمتها بينما الأولاد ذهبوا لنوم القيلولة .

دقت السابعة وكان قد استيقظ أحمد وياسمين و فرغت مها من شأن المطبخ و الكل استعد و ارتدت نورا فستانا بسيطارمادي اللون قصير, وضعت بعض الماكياج الهادىء مما زادها بريقا , واعتلت حذاء أسود رفيع الكعب فزادها رشاقة على رشاقتها , و تركت شعرها بنى اللون الطويل ينسدل بطبيعته و لم تفعل أى شىء به , رأت مها طلتها فأبدت كل الإعجاب و لم تخف عبارات الإعجاب من خفة الظل ،فقالت لها

هل أنت عروس اليوم ولم تخبرينى , فكم كان مظهرها بقدر بساطته بقدر رقيه و جاذبيته .

استعد أبناؤها أيضا و كانوا على علم بقدوم قريب مها و كل شىء على ما يرام ...

دق جرس الباب فتحت مها لتجد شخص يحمل الكثير من العلب و الأكياس , ومن نظرتها الأولى له عرفت سنه فهو فى أواسط الخمسينيات , فتعجبت مها لذوق ووصف نورا له، وحدثت نفسها منتقدة ذوق صديقتها , أذنت له بالدخول ورحبت به ترحاب حار بالرغم من كونه لم يروق لها , ولكن اعتذر الرجل عن الدخول ، فقط و ضع الأشياء التى يحملها و سألها فى استئذان " هل يصعد السيد يوسف " فهو ينتظر فى السيارة و أرسله للاستئذان , فضحكت مها و هى التى حسبته يوسف , فقالت له بالطبع فليتفضل يوسف بالصعود فنحن فى انتظاره.

يتكرر الموقف نفسه ثانية و يدق الجرس و تفتح مها الباب و تقف وراءها نورا و تبتسم مها ابتسامة تشرق و جهها فور رؤيتها هذا الرجل طويل القامة قصير الشعر ،و رغم قصر شعره لم يخف نعومته ولونه البنى الفاتح و عينين مبتسمتين ابتسامة لاتقل عن ابتسامة الفم , بادلته الابتسامات وانهالت عليه بالترحيب ودعته للدخول , أما نورا فكانت ترى رجلا كله جاذبية لا تقل عن جاذبيته فى أول لقاء معه ظهر اليوم ، و لكنه كان بالجينز و قميص أبيض اللون كاجوال وحذاء

خفيف أما الآن فهو بالجينز داكن اللون و قميص أزرق فاتح اللون ضيق بعض الشيء و جاكت أزرق داكن قصير مما يعطيه جاذبية و مظهر جاد فى نفس الوقت , دخل حاملا باقة من الزهور بيضاء اللون جميعها باستثناء وردة واحدة حمراء و أعطى الباقة لنورا و سلم عليها و تبادلا الابتسامات , أما مها فمراقبة للموقف مبتسمة ابتسامة ماكرة فهى تفهم جيدا نظراته لنورا و تدرى كم تكون هذه النظرة عاشقة .

مزيج من الأحاسيس الجميلة يشعر به يوسف أما نورا فعصف بها الحب و أسكتها الخجل فى آن واحد , لم يتمكن هو من حبس مشاعره فقفز الحب من عينيه و التهمها بنظراته , ود لو خبأها بين ذراعية و تنفس أنفاسها .

لم يكسر هدوء المنزل إلا ضحكات أحمد و ياسمين و جنون يوسف بهم فور رؤيتهما , أخذ يلعب معهما و يمسك بياسمين و يلقيها بالهواء لتعود مرة أخرى بين يديه فيقبلها فى عنف متظاهرا بأنه سيلتهمها فتضحك هى كثيرا .

و لعب مع أحمد و كأنه طفل مثله فى الثامنة على الأكثر , كما أبهرتهم هداياه حيث أحضر لأحمد كل ما يهواه طفل فى مثل سنه من عربات و تراك للسباق و مجموعة محاربين النينجا و غيرهم الكثير من الشخصيات التى يحبها الأطفال فى مثل سن أحمد , أما المدللة ياسمين و الأميرة الصغيرة مثلما سماها يوسف فور أن رآها فلم تترك حضنه أبدا ،و ظلت جالسة على قدميه تحتضن واحدة من العرائس التى

أحضرهم لها , كما راق لها أيضا لبس الأميرة الساحرة و التاج و العصى السحرية ذات النجمة المضيئة .

أما يوسف فكانت فرحته الكبرى من تقبل الأولاد له و بل فرحتهم به و بما أحضره لهم .

و لم ينس مها و أعطاها هديتها التى كان قد ترك أمرها لريم من بين كل الهدايا , وكم شكرته مها لذوقه و رقته الشديدة،وشكرها على اهتمامها بنورا و أعرب لها عن مدى طمأنته لوجودها فى حياة نورا , بادلته مها الترحيب و كم هى سعيدة بزيارته ،و تمنت لو تكررت زياراته باستمرار , و دعتهم مها للعشاء فكل شىء جاهز الآن , و بالفعل جلس الكل حول المائدة و تغزل يوسف بالطعام ،و قال عن نفسه كم هو محب بل عاشق للأكل المصرى ،و سأل عمن أعد الطعام و فورا جاوبته نورا بأن مها هى من أعدت كل شىء بنفسها و دون أى مساعدة , ضحك يوسف و همس لمها :

" حلو يعنى راح آكل وأنا مطمن كنت خايف تكون نورا هى يلى طبخت , أصلا شكلها ما بتعرف تغلى المى ".

ضحكت مها حتى دمعت عيناها و ضحكت نورا و هو أيضا ،و لكن عاتبته مها على قوله برقة و قالت له إنها لن تحدثه عن إمكانيات نورا فى المطبخ لأنه حتما سيأتى يوم و يعرف بنفسه , كم كانت إجابة مها ماكرة أخجلت نورا ،و هو ينظر لها و قال لها :

" بتمنى يا مها و إنشاالله عن قريب " .

كان الحديث على العشاء أمتع من العشاء نفسه , وبالطبع لم يأكل أحد منهم الكثير و كأن فرحة القلب ضد ملء المعدة .

مازالت ياسمين فى حضن يوسف حتى بعد العشاء حيث انتقل الجميع للصالون و جلسوا أمام التليفزين متابعين للأخبار متناولين القهوة التى أعدتها نورا , رشف يوسف القهوة و همس لمها :

" من غير ما تخبرينى عرفت لحالى إن نورا هى يلى عملت القهوة , روحها فيها يا مها "

نظرت لهم نورا فلاحظ يوسف و غير نبرة صوته فورا و ملامح وجهه و كأن القهوة لم ترق له , فابتسمت مها و أخبرته كم هو ممثل بارع , فوافقها الرأى و زاد عليه أنه محب أيضا رائع , كان الحديث مع يوسف شيق و ثلث و كأنه يعرفهم من سنوات ماضية و كأن زيارته ليست الأولى .

مرت الساعات سريعة و دقت الحادية عشرة و نامت ياسمين على صوت يوسف وهمسه لها ببعض أغانى الأطفال التى غناها لها , حملها و طلب من نورا أن يدخل ليضعها فى سريرها , فشلت محاولات مها و نورا فى أخذ ياسمين من بين ذراعيه و أصر أن يضعها هو فى سريرها بنفسه , وبالفعل دخل لغرفتها ووضعها فى سريرها بهدوء و خلع عنها

الحذاء ثم أخرج من جيب جاكيته قطعة من الشيكولاته الكبيرة ووضعها بجانب سرير ياسمين كى تأخذها فى الصباح .

أما أحمد الرافض للنوم دوما تعجبت نورا من اصطحاب يوسف له ،و فى استسلام منه وهدوء دخلا سويا لغرفته و أخذ أحمد يرتب لعبه الجديدة فى الغرفة ،و كان يحدث يوسف و كأنهم أصدقاء من نفس العمر , بدل أحمد ثيابه و دخل فى الفراش , فقبله يوسف و أخرج له آخر مفاجأة هذه الليلة وهو جهاز mb٣ مسجل عليه جميع الأغانى الأجنبية لهذا العام , و أعطاه له كى يستمع له وهو فى طريقة للمدرسة فهو يعلم منذ كان طفلا فى عمره كم يكون الطريق ممل و طويل من المدرسة للمنزل والعكس , خرج يوسف بعد أن أغمض أحمد عينيه , اعتذر لنورا عن كسره لنظام المنزل هذه الليلة , فقاطعته نورا أن هذا المنزل لم يشهد سعادة ولم يسمع صوت ضحكاتهم فيه مثل هذه الليلة، و هى من يجب أن تشكره لا أن يعتذر هو .

تستأذنهم مها فى الجلوس أمام التليفزيون لمشاهدة الأخبار و تعلى صوت التلفاز نوعا ما , وما كانت هذه إلا حيلة منها حتى ينفرد يوسف بنورا و يتحدثا سويا فمنذ أن جاء فى الثامنة لم يتحدثا سويا على انفراد .

جلسا فى صالون مقابل للتراس ،و كان الهواء هذه الليلة هادئا و باردا نوعا ما , ظل يوسف ينظر لنورا و اقترب منها و همس لها:كم أنت جميلة و مميزة هذه الليلة , تخجل من كلماته و نظراته و تعجز عن

الرد , فماذا كانت ستقول , ودت لو قالت الكثير لكن تذوب الكلمات على شفتيها من رقة و ذوق هذا الرجل .

تحدثا عن الأولاد و كم هى محظوظة لأنها أم لهم ،و كم كان مشتاقا لأن يكون أبا لكن لم يسعده الحظ , لكن هو يعتبر نفسه أب من هذه الليلة منذ أن رأى أحمد و ياسمين , و كم ارتبط هو بهما ولا يعلم كيف سيعود إلى لبنان بعد تعلقه بهما .

قطع حديثه فجأة و كأنه تذكر شيئا مهما ..

" آه تذكرت لما وصلت عاالأوتيل تلفنت لأمى لطمنها على , وهى وصتنى بس بشوفك بدها تكلمك , ممكن ؟"

نورا : "طبعا بس هاأقول إيه ؟"

يوسف : "يا عمرى لا تقولى شىء , أصلا أمى ما بتعطى فرصة لحدا يحكى "

ضحكا معا و دق هو لأمه فتجيبه فورا و يمزح هو معها قائلا ..

" أمى يا حبيبتى والله التليفون ما رن أصلا , أنت شو ماسكتية بإيدك ما تعطيه فرصة ليرن , اعطيه فرصة ياأمى التليفون بده يرن مرة "

تضحك نورا , فيعطيها الهاتف دون مقدمات , كم هذا الرجل رائع و عفوى و روحة حلوة , تقول نورا مساء الخير و ترد مجود مثلما يناديها ابنها:

" مسا الفل و الورد حبيبتى مسا الجمال على عيونك الحلوين , أنت نورا ووالله نورتى حياتنا يا نورا , أنا قلبى معك يا نورا , يوسف هو قلبى , حافظى عليه يا أمى ولا تحرمية منك , أنا شفتك فى عيون ابنى، و سمعت ضحكتك فى صوته , أنت رجعتى ليوسف ضحكته يا حبيبتى أنا , فلا تبخلى عليه و عليا بحبك يا نورا , و خلاص أنا من اليوم أمك و أمه , وبدى منك توعديني إنك راح تيجى بيروت بالكريسماس ولا تخجلينى فى أول طلب ليا "

نورا : "بس كده حاضر هحاول أرتب و إنشاء الله آجى "

ماجدة : "لا تحاولى إنت جاية يعنى جاية ما راح أقبل منك أعذار ولا ما بدك تشوفى أمك , أنا لو بقدر كنت جيت أصلا مع يوسف "

نورا : "خلاص و أنا إنشاء الله هاجى "

تغلق الخط وهى فى أسعد لحظات حياتها ،و كأن السنين الحزينة انتهت وبلا رجعة , يقبلها هذا الجالس بجوارها فى يدها و يشكرها على رقتها مع أمه ،و يوعدها بأنها سوف تقع فى حبها أكيد , و تصدق نورا على كلامه فهو لا يدرى كم هى الأحوج إلى هذا الحنان و هذه العيلة الجديدة .

نظر فى ساعته ليجدها جاوزت الحادية عشرة والنصف و يدرك أنه لابد و أن يغادر فقد تأخر الوقت و لا يصح أن يبقى أكثر من ذلك , سلم على مها و نورا و اصطحبته نورا إلى الباب لتودعه فيبتسم لها و يرسل لها قبلة فى الهواء ،و لكنها شعرت بها كما لو كانت شفتاه قد لامست شفتيها , رجع بعض الخطوات ليخبرها أنه قد ترك شيئا صغيرا بجانب الكنبة التى كان يجلس عليها , فهذا الشىء لها و قد رفع عنها الحرج و لم يقدمه لها أمام مها و الأولاد , و دعا بعضهما على وعد بلقاء غدا ،ولكنه سيتركها تذهب لعملها فى الصباح و هو أيضا سيرتاح بالأوتيل حتى المساء , صدقت هى على حديثه و أخبرته أنها فى أجازة غدا لتقضى معه بعض الوقت و تعرفه على القاهرة , ضحك من قلبه قائلا :

"لو أنتى بدك مرشد يعرفك عالقاهرة و مصر كلها ما هتلاقى أحسن منى"

دخلت مسرعة باحثة عن الشىء الذى أخبرها عنه , وبالفعل وجدت شيئا ملفوفا داخل حقيبة من القماش القطيفة الناعم الأسود , فتحتها فى بطء، و كانت مها تراقبها وعلى وجهها ابتسامة , لتجد بداخلها برواز غاية فى الروعة و فى داخله صورة ليوسف من أجمل صوره ،ولكنها فى منتهى البساطة و أكثر ما أعجب نورا هو نظرته لعدسة الكاميرا فبدى و كأنه ينظر لها هى , ووجدت بروازا آخرا مثله تماما و لكنه فارغ و كارت صغير مكتوب بداخله ..

" ما راح أتنازل إلا و بتكون صورتى أول شىء تفتح عليه عيون حبيبتى الحلوين كل نهار , ملحوظة / عم تستنى عيونى صورة منك فى بروازى الفاضى " .

قبلت الصورة دون تفكير و انسابت دمعة رقيقة لم تنجح هى فى حبسها نزلت على خدها و حدثت نفسها , كم هذا الرجل برقته يلمس داخلها يقرأها يعطيها و بسخاء كل ما كانت تبحث عنه بل ملت البحث عنه و فقدت الأمل فى إيجاده , كل ما كانت تتعطش له , ليظهر هو فجأة مخبأ معه كل ما تاقت له لسنوات طويلة مضت , أدارت رأسها لمها محدثه إياها , لم أصدق نفسى يا مها هل أنا أحلم هل كل هذا الحب لى أنا ؟!

تقترب منها مها و تحتضنها و تذكرها بأنها لم تضيع أبدا السعادة و لم تغدر أبدا بل هى كانت سعادة لزوج غدر بها , فكيف لم يعوضها الله و الحمد لله قد عوضها خيرا , و تؤكد مها لها أننا نجذب ما نحن عليه يا نورا .

هدأ المنزل و الجميع نائمون إلا تلك العاشقة فلم تستطع النوم و لم تفارقها رائحة يوسف فى كل أرجاء المنزل , كما لم يفارقها صوته أيضا ولا صوت ضحكاته و كأنها لازالت ترن فى أرجاء المنزل , و الأجمل من كل هذا هو نظرته لها و ضم شفتيه و كأنه يقبلها من بعيد من وقت لآخر دون أن ينتبه أحد , و همسه لها كم هو يعشقها وكم يشتاق لها حتى وهى بجانبه , كانت تخجل حتى وهى تتذكره و كأنه معها .

أما هو فمثلها و أكثر و ظل طيلة الليلة يشاهد صورهم جميعا و صوره معهم ومع نورا و الأولاد التى كان قد التقطها بهاتفه المحمول , على الرغم من أنه لم يكن من هواة هذه العادة وهى التقاط الصور بالهاتف , إلا أنه أدمن هذه الليلة على هذه العادة , و يقف من بين الصور عند صورة لنورا و حدها و يكبرها لينظر فى عينيها و يحدثها و كأنها أمامه , يتأمل كل تفصيلة فى ملامحها , و يسرح فى عينيها و يقبل الصورة ،و كأنها هى نفسها , ثم يغلبه النوم فينام وهو مبتسم .

ما أجمله الحب فهو الوحيد القادر على تبديل حالنا , أسرنا , يأتى لنا بقلوب أطفال لا تعرف إلا الضحك , فلن تجد عاشق الا و تنام عيناه و شفاه مبتسمة .

يعود الروتين الصباحى لمنزل نورا فى اليوم التالى لزيارة أمس و لكن مازالت جدران المنزل تختزن السعادة والضحكات ورائحة الحب , ذهب الأولاد للمدرسة و نورا أرسلت رسالة ليوسف كى تكون أول شىء يراه عندما يستيقظ , فكرت كثيرا قبل أن تكتب رسالتها له وماذا ستقول و كتبت و مسحت كثيرا ،ولكنها فى المرة الأخيرة كتبت كلمة واحدة و لم تمحيها هذه المرة بل أرسلتها , كتبت فقط كلمة لكنها تختصركل ما بداخلها له "بحبك" .

فاقت مها هى الأخرى لتطمئن على الأولادو تسألها ..

" أنت النهاردة حلوة أوى ليه " .

تضحك كعادتها وتقبلها و تشكرها فى رقة لوجودها معها أمس و وجودها فى حياتها عامة .

استيقظ العاشق الوسيم و دخل ليأخذ حمامه الصباحى و طلب القهوة لتأتيه مع الإفطار فى الغرفة , فتح ليشاهد الأخبار و أحضر قلما ومفكرته الصغيرة ليكتب كل ما سيقوم به أو يود القيام به لهذا اليوم , فهكذا هو حتى فى الأجازات , ومن ضمن ما سيفعله اليوم هو أن يهاتف محمود , محمود صديقه المصرى من سنوات طويلة وهم أصدقاء , كان قد تعرف عليه أثناء أحدى رحلاته لمدينة شرم الشيخ , حيث يمتلك محمود شركة هناك لسياحة السفارى و رياضة الغوص أيضا , و كثيرا ما جمعتهم سويا أوقات جميلة و ذكريات لا تنسى , لكن محمود لم يكن صديقه هو فقط بل كان صديق كارلا أيضا التى كثيرا ما أخذت معه دروسا لتعلم الغطس كلما جاءت هى و يوسف لشرم , لكنه لم يترك عقله يأخذه عند هذه المنطقة من الذكريات , فتناول الهاتف ليدق لمحمود و يقطع حبل أفكار الماضى مع كارلا .

هو لم يخطط لزيارة محمود فى شرم ولكن على الأقل لابد من أن يسلم عليه , فكيف يكون فى مصر و لم يسأل عن صديقه المصرى , يفتح الهاتف ليجد رسالة نورا فيفتحها فى لهفة فيضىء وجهه و يقبل الهاتف , و يحدثه عقله كم هذه المرأة احتالت على وعلى مخزون ذاكرتى , يرد عليها هو و لكن هو الطماع فلم يكتف بكلمة واحدة مثلها فكتب لها:

" أنا بموت فيكى يا روحى أنت , كتير مشتائلك " .

دق لمحمود و بعد عدة مرات يرد محمود و يهلل فور سماعه لصوت صديقه العزيز و يزيد أكثر عندما انتبه أنه يهاتفه من مصر , لكنه ثار على يوسف عندما أخبره أنه فى هذه الزيارة سيكتفى بوجوده فى القاهرة ولن يأتى لشرم كعادته ,فهدده بزعله فكيف يكون فى مصر ولا يراه وطلب منه حتى المجىء ليومين فقط , شرح له يوسف الخطوط العريضة من أسباب زيارته لمصر فى هذه المرة , و يقترح محمود أن يأتى هو ومن جاء لزيارتهم فى القاهرة و ستكون رحلة ممتعة و بعيدة عن أحداث القاهرة المليئة يوميا بالوقفات و المظاهرات و بعض أحداث الإرهاب .

رحب يوسف بالفكرة ووعد محمود بأنه سيهاتفه ثانية حينما يتأكد من إمكانية السفر لشرم هو ومن معه فى القاهرة .

تسير الأمور مع نورا إلى الأمام و بسرعة خاطفة و كأن القدر السعيد حالفها أخيرا , لكن لا يوجد إلا شيئا واحدا يزعجها و هو المواجهة المحتومة مع هشام .

هشام آه من هشام , وكأن سعادته و استقراره تربطهم علاقة عكسية مع سعادة واستقرار نورا , فمع صعود أحوال نورا لأعلى , هبطت كل أحوال هشام لأسفل فى تتابع منتظم , منذ أن أخذ الضربة على رأسة حينما سمع حديث نورا مع سمر و لحقها تعنيف سمر له و هو مصاب

بالدوار ولا يعلم من أين يبدأ و كيف سيرتب أفكاره،و حتى Beth لم تعد تتحمله وهى المقربة منه فى هذه الفترة حتى أنها كانت قد انتقلت للعيش معه و ما جعلها تستمر معه لما يقرب من العام وهى مدة تعتبر طويلة بالنسبة لعلاقات هشام الكثيرة كان سبب طول المدة يرجع ل Bethحيث أنها كانت على علم بأنها ليست الوحيدة فى حياته وأنه لن يكتفى بها وحدها يوما , فهذه طبيعته ولن تتغير و هى أيضا كانت تمل بسرعة فتعدد من علاقاتها و تتنقل من رجل لآخر و المجتمع لا يبغض ذلك طالما أنها لاتؤذى أحدا ولا تتعدى على القانون فلها كامل الحرية كما أن فى أمريكا والغرب عموما يكون للمرأة اختيارات مختلفة و متعددة , و إلى حد ما لا تجرحها نظرة المجتمع لو انفصلت أكثر من مرة و أنهت أكثر من علاقة وبدأت أكثر من علاقة .

أعلم أن مشكلة المجتمعات الذكورية لا تقتصر على شرقنا فقط وإنما هى مشكلة عالمية لو تمعنت النظر , و ستجد أن هناك تمييز للرجل على حساب المرأة فى الغرب أيضا و هناك استغلال للمرأة أيضا , وحتى فى أفلام البورنو ما هى إلا استغلال فج و فاضح للأنثى وراء هذه الصناعة رجال يا سادة يبيعون السلعة و يتقنون عرض بضائعهم , ومن ناحية العنف ضد المرأة فسنجد أن الغرب المتحضر لا يخلو أبدا من العنف ضد المرأة فكم من جرائم ارتكبت ضد أناث فى الغرب .

هكذا كانت العلاقة بين هشام و Beth كالماء الراكد لا يتحرك إلا كل نهاية أسبوع فيذهبان سويا للسهر و يجتمعان بالأصدقاء ،و فى أغلب

الأحيان ومعظمها يكون الأصدقاء هم أصدقاء Beth , لأن كل صديقة لهشام له معها قصة انتهت أو مستمرة لذلك لا يدعوBethإلى لقائهم معه .

زادت فى الفترة الأخيرة فترات صمته و شروده و كذلك Beth و كأنها بشاير النهاية بينهما .

و كأن عاصفة هبت و أطفأت شعلة نشاطة , حتى العمل طاله هذا الصمت و انطفأ نشاطه للعمل , وهو الذى كان لا يكل ولا يمل من العمل أبدا , فكان عمله باالنسبة له الماء , ومهما حدث فى حياته الشخصية لا يؤثر عليه فى عمله أبدا , لكنها طالت العمل هذه المرة وهو بالشىء الغريب , ترى هل هو الحب , هل أدرك أنه يحب هذه الواقعة فى حب غيره من جديد

لم يهتم بحديث نائب رئيس مجلس الإدارة لشركة الإنشاءات التى كان يعمل بها , بل و أحد الكوادر بها , الذى كان قد اجتمع معه فى الأسبوع الماضى بشكل ودى ليحاول معرفة ما سبب تراجعه فى مهام عمله وما هذا التغير المفاجئ الذى طرأ عليه , و حاول أن يلفت نظره إلى أن هناك من يراقبه منتظرا فرصة ليقتنصها فيزيحه من مكانه ليأخذه هو , ونصحه بمعاودة العمل على أساس كفاءته المعهودة كما كان منذ أن تم تعيينه فى هذه الشركة .

كما أنه امتنع تماما عن الذهاب إلى مكتب الاستشارات الهندسية المشارك فيه الذى كان قد أسسه مع شريك له آخر و هو "كيفن العابد " أمريكى من أصل شامى , هما صديقان مقربان من قبل مشروع الشراكة , مما شجعهما على اتخاذ هذه الخطوة , وهى فتح مكتب للاستشارات الهندسية و المناقصات الإنشائية , وكان هشام يتولى إدارة العمل فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية بينما كيفين كان دائم السفر للدخول فى مناقصات فى دول عديدة ومنها دول الخليج العربى كالإمارات العربية , وكم من مناقصة رست على شركتهم و بالفعل قاموا بتنفيذها , وكم من مبالغ طائلة حصلوا عليها مكسبا لهم من بلاد النفط .

كان هشام يخطط أن يترك الشركة التى يعمل بها ويتفرغ لشركته الخاصة مع كيفين , فالعمل كان قد توسع و يحتاجة لوقت أكثر خاصة مع سفر كيفين الدائم , فكانت أحوال الشركة مبشرة وأفضل حتى من توقعات هشام وكيفين , وكانت Beth هى المدير الإدارى فى المكتب منذتأسيسه , و يعتمد عليها هشام فى إدارة الشركة و قد أثبتت جدارة فى ذلك .

تدق Beth لهشام لتذكره بميعاده اليوم فى المكتب فى تمام الخامسة مساءا , حيث هناك اجتماع بينه و بين عميل مهم للغاية سبق و كان قد أجل هشام هذا الميعاد أكثر من مرة بحجة أنه مشغول وليس لديه وقت , فوجئت Beth أن هاتفه مغلق , ودت لو أنه أغلقه لانشغاله فى

عمل أو اجتماع , فدقت للشركة لتسأل عنه ربما ذهب لعمله اليوم هناك , و لكن أخبرتها السكرتيرة أنه لم يأت اليوم و هى الأخرى تحاول أن تعثر عليه ولكن هاتفه مغلق , و طلبت منها لو تمكنت من الوصول إليه فقط تخبره أن يتصل بهم لأمر ضرورى .

شكرت Beth سكرتيرة مكتبه فى الشركة و أغلقت معها الهاتف و توجهت مباشرة لسيارتها ذاهبة إلى المنزل لتطمئن إن كان بالمنزل أم ماذا حدث له , و كانت حجتها أنه لابد و أن يأتى إلى المكتب فى الخامسة لأن كيفين مسافر خارج الولاية فى عمل , ولا يمكن تأجيل موعد اليوم فسبق و أجلته مرة وهو بنفسه أجله فى المرة الماضية , كانت تحدث نفسها فى صوت خافت و أدارت سيارتها وانطلقت للمنزل.

وصلت للمنزل كان هادئا وجميع النوافذ مغلقة ما عدا نافذة المطبخ , فدخلت للمنزل لتجده مثلما تركته فى الصباح , وكل شىء كما هو مكانه حتى الجرائد مازالت عند الباب الخلفى لم يأخذها هشام , دخلت متجولة فى المنزل بهدوء باحثة عنه , ربما ما زال نائما , و إذا بها تجده جالسا على إحدى كنبات غرفة المعيشة فى الطابق الأول و كل ملامحه حزينة ووجهه مرهق منتفخ العينين وكأنه لم يغف دقيقة من الليل , فاقتربت منه و لم يشعر حتى بدخولها حيث كان يحدق فى شاشة اللابتوب أمامه , فاقتربت منه و قبلته فى رقة على رأسه و اقتربت أكثر لتضم رأسه وهى واقفة أما هو فظل جالسا كما هو

مستسلما لضمتها , وهى صامته قررت أن ترأف به ولا عتاب له بعد ما رأته على هذه الحالة .

أطالت فى عناقها و تشبث بها هو , و فجأة تعالى صوت بكائة مختنقا , ودت هى فى هذه اللحظة أن تفعل له أى شىء لتخرجه من هذه الحالة التى لا تعرف أسباب لها ولم تره عليها منذ أن عرفته , أخذت تربت على ظهره و تحاول تهدئته دون سؤاله عن أسباب هذا البركان , و وجهت زاوية عينيها لترى ما كان يتابعه فى شاشة اللاب فتجد صورة لامرأة داكنة الشعر ذات بشرة بيضاء و عينين واسعتين بلون العسل وابتسامة تخفى حزن العينين ووجه ملائكى فى مجمله , و تحتضن طفل و طفلة يشبهاها قليلا , استنتجت أن هذه الصورة حتما لأبنائه و بالطبع من معهم هى أمهم , ولكن لماذا يبكى هو ؟

مازال عقلها يعمل على تخيل ما حدث وما أسباب حالته دون أن تسأله أى سؤال , فتخيلت أنه قد فقدهم أو فقد أحدهم لذلك هو فى هذه الحالة , أبعدت رأسه عن صدرها بيدها قليلا و رفعت رأسه لأعلى ناظرة إلى عينيه الذابلتين و لم تملك نفسها إلا وهى تسأله فى لهفه ماذا حدث لهم ؟ هم أبناؤك صحيح ؟ ماذا حدث أرجوك أشرح لى ما حدث يا هشام ؟

تابع انهياره و أخبرها وهو يهذى بكلمات غير مرتبة أنه أضاع كل ما يملك من أجل لا شىء , لم يعرف قيمة ما يتمناه رجال غيره كثيرون ,

لم تفهم منه شيئا , أشار لها إلى الصورة ،و قال لها انظرى إلى هذه الصورة ما رأيك فيمن فيها ؟

أليست امرأة جميلة و طفلان يأخذان العقل , أنا تركت هذه المرأة وحيدة مع طفلين أكبرهم لم يكمل الثلاث أعوام و الصغرى عام واحد , و جئت و ضيعت هنا أكثر من أربعة أعوام لم أحقق فيها إلا المكسب المالى , كنت أظن أن هذا ما أريده و لكنى اكتشفت أنى غير سعيد , إن المال و الرفاهية والعيشة فى بلاد نظيفة متحضرة رأسمالية لم يجلب لى السعادة , و فوجئت أنى مهما حققت من نجاح فنجاحى محدود , و الصدمة الكبرى أن دائما داخلى شعور أنى مهما انخرطت فى هذا المجتمع لن أكون منه مهما بدت على صفات الغرب لم أسلخ جلدى , جلدى يأبى أن ينسلخ عنى , داخلى معلق بين حلمى هنا وما تركته هناك , كلما و صلت لهدف هنا وددت لو أنى وصلت إليه فى بلد التلوث والدخان من حريق الأرز و ازدحام المرور و مكبرات الصوت العالية و صوت مؤذن الفجر الأجش , و المناسبات المرتبطة بالطعام و نميمة الأقارب , كيف لى أن أكره شىء لدرجة الهروب منه و أشتاق اليه مجددا , هل جننت أم أنا على شفى الجنون .

و غير نبرة صوته فجأة و تغيرت بالتبعية نظرته من استسلام الى تحدى واضح , وقال:

" لن تأتى النهاية هكذا أبدا أنا لن أخسر , ولن أتركها تركلنى لتخرجنى فى توقيتها هى , أنا لا أريد تركها و لن يكون غير ما أريد "

فهمت ما يرمى إليه و فهمت أنه لم ينفصل عن زوجته المصرية مثلما روى لها أنهما منفصلان رسميا , و فى هذه اللحظة كانت قد حسمت أمرها ،و بالفعل فى أقل من أسبوع من الصمت بينهما و العزلة لكل منهما فى نفس المنزل كانت قد انتقلت للعيش مع إحدى صديقاتها مؤقتا حتى تستقر أمورها , فهى لم تترك المنزل له فقط بل تركت العمل معه أيضا ,

لكن الغريب هو حزنها على فراقه , كانت مندهشة من نفسها فهى لم تعانى فى فراقها عن أى رجل عرفته من قبل بل ربما تكون تواعد غيره قبل أن تنفصل عن أحدهما , فلماذا هى الآن حزينة لا تقبل حتى على الخروج من منزل صديقتها , صامتة معظم الوقت , ومن حين لآخر تهاجمها نوبات ندم شديد على تركها المنزل والعمل ؛و كأنها لو لم تترك العمل لكان لديها فرصة أخرى معه , كان هشام يتابع العمل فى شركته مع كيفين بنفسه يوميا كما أنه يجرى بعض المقابلات للبحث عن مديرة إدارية للشركة بدلا عن Beth فى حين أنه لم يحاول حتى التفكير فى الحديث معها عن الرجوع للعمل ولو مؤقتا كى يتفادى أى تأخير أو عرقلة فى العمل , وأيضا كان يوميا يجلس لينهى فى منزله بعض المشروعات المتأخرة فى عمله فى الشركة الأخرى , و يتابع ما توصل إليه كيفين شريكه يوما بيوم و ينقل له أخبار العمل وما تعاقد عليه , و الأغرب من كل ذلك أنه زاد من اتصاله بنورا وكان يسألها فى هدوء عن أحوالها وعن أحوال الأولاد و عما إذا كانت النقود التى يرسلها وصلت بالفعل و غطت نفقاتهم أم أنها تريد المزيد , وهذا هو ما لم تعتده نورا

منه أبدا , و فى كل مكالمة كان يطلب أن يتحدث إلى أحمد وإلى ياسمين كان بعد كل حديث معهم والذى كان لا يتجاوز الدقيقتين لا لأنه هو لا يجيد الحديث معهم بل لأن أبناءه لا يعرفونه هم فقط يعرفون أنه مسافر و لا تربطهم أى ذكرى به فعما سيتحدثون معه , ولكنه كان يخفى حزنه وراء إصراره فى إصلاح كل ما يريد , كانت نورا تتعجب منه , وكانت فى كل مكالمة له تسأله متى سيأتى كما وعدها وهى بالطبع تقصد متى سيأتى لكى ينتهيا سويا من إجراءات الطلاق كما وعدها من قبل حيث أنه سيأتى لأن مثل هذه المواضيع لا تناقش فى الهاتف , كان يغلى فى داخله من إصرارها وعدم تغير موقفها منه بالرغم من محاولاته فى التقرب منها , ولكنه كان يعلم أن كل شىء سيكون مثلما يريد , لا لشىء فقط لكونه هو يريد ذلك .

كانت قد وافقت نورا على فكرة السفر لشرم مع يوسف وبالفعل حصلت على أجازة من المدرسة , و سألته كم يوما ستكون هذه الرحلة و أجابها أنه يعدها أنه وقتما تريد العودة سنعود فى ثانى يوم على الأكثر , فهو يريدها أجازة قصيرة ،و لكن مفتوحة غير محددة بموعد للرجوع , طلب منها يوسف أن تدعو مها بالنيابة عنه فهو يعلم مدى أهمية قدومها معهم بالنسبة لنورا , فبالتأكيد هى لا تريد السفر معه بمفردها ،و سيكون الأمر مريحا أكثر فى قدوم مها , كما أنه استشف أن هذه المرأة هى أسرة نورا بأكملها و كم هى تحبها بصدق , هاتفت نورا مها بينما كانت تجلس مع يوسف يتناولان القهوة فى إحدى الكافيهات التى اعتاد يوسف الجلوس فيها كلما قدم للقاهرة وهذه المرة أراد أن

يصطحب نورا إليها لكى يكون لهم ذكرى فى كل مكان هو يحبه و يفضله , وهى فى إحدى شوارع حى الزمالك الهادئ نوعا ما , رحبت مها بالفكرة و كان يوسف يسمع صوت ضحكاتها وهى تتحدث إلى نورا فعلم بموافقتها .

بعد يومين كان يوسف ونورا ومها و الأولاد فى صالة مطار القاهرة للرحلات الداخلية فى انتظار رحلة شرم فى تمام الثامنة صباحا , مرت الإجراءات بسلام و صعد الجميع للطائرة و كان أحمد متعلق بيد يوسف لم يتركه لثانية واحدة , و يوسف لم يترك ياسمين هى الأخرى , كان يسير بهم كوالدهم الحقيقى لا بل والدهم فعلا , جلس يوسف بجوار أحمد و ياسمين , أما نورا ومها فجلسا سويا فى مقعد آخر , مرت الخمسون دقيقة من القاهرة لشرم و كأنها خمسة دقائق و صلوا بالفعل لمطار شرم الشيخ ،وكان محمود فى انتظارهم فكان قد بلغه يوسف بميعاد الوصول , سلام حار جدا بين محمود ويوسف و تبادلا التعارف و رحب محمود بنورا و مها , و لكن ماذا قال يوسف عن نورا و كيف قدمها لصديقه محمود , دون مقدمات قدم يوسف نورا لمحمود قائلا " نورا خطيبتى " تعجب محمود من خبر خطوبة يوسف , فكم من مرة يفتح موضوع الزواج ليوسف و يصدمه يوسف برفضه وبعده تماما عن الارتباط بعد كارلا حتى بعد علمه بزواجها من فرنسى و أنها تقيم معه فى باريس , لكن بالطبع سعد محمود بخبر خطوبة يوسف ،وبدأ وصلة المزح معه قائلا :

"عرفت فين بيت الجمال يا جو ورحت تناسب منه ".

ولكن داخله يسأل ترى ماذا حدث , لكن حبس محمود سيل أسئلته حتى ينفرد به ليفهم كل شيء منه .

فى السيارة أثناء طريقهم إلى الأوتيل كان محمود يتحدث إليهم عن ذكرياته مع يوسف هنا فى شرم وأيضا فى لبنان ،وكم جمعتهم مواقف لن ينسوها أبدا وكم هو سعيد باستمرار هذه الصداقة كما تحدث أيضا لنورا عن مدى جمال يوسف من الداخل ،ووصفه بأنه من الرجال نادري الوجود ،وأقسم لها أنه فقط يصفه دون مجاملة فى كلمة واحدة , و حدثها أيضا عن والدة يوسف ومدى حنانها و طيبتها وكرمها و أنها ستقع فى عشقها فور أن تعرفها مثلما وقع هو محمود فى حبها كوالدته رحمها الله , و قال بالله عليك من غير شكر فى صديقى كيف لمن له أم مثلها وربته أن يكون إلا رجلا رائعا مثل يوسف .

وصلوا إلى الأوتيل الذى كان قد حجز لهم فيه محمود بناء على طلب يوسف , وكان قد حجز لهم ثلاث غرف منهم غرفتان يفصلهم باب واحد بينهم من الداخل , حتى تنتقل نورا للأولاد بسهولة , فمن يحب يهتم بالتفاصيل .

بالفعل دخل الجميع لغرفهم ليرتاحوا قليلا و يفرغوا حقائبهم , ودعهم محمود على لقاء بهم فى المساء لتناول العشاء معه ومع زوجته .

لم تسعد نورا على مدار تسعة وعشرين عاما هو عمرها بأكمله مثلما هى سعيدة الآن , تتنفس الآن وكأنها القادمة من الموت من قبر رطب مظلم على نور ورائحة زهور و نسيم هادئ يداعب خصلات شعرها يلامس وجنتيها بحنان .

رتبوا حقائبهم و ارتاحوا قليلا و دق يوسف لنورا فى الخامسة ليذكرها بميعاد محمود فى السابعة , أكدت هى على الميعاد , و بذوقه المعهود يسألها فى هدوء لو لم ترد الخروج فلا حرج و يمكنه الاعتذار لصديقه , تبتسم هى غير المعتادة على مثل هذه الأنواع من الرجال و تؤكد له أن كل ما يهمها أن يكونوا معا جميعهم ولا يهم المكان أبدا , يقبلها عبر الهاتف و يشكر الزمن الذى جمعه بهذه المرأة و يتركها لتستعد , كانت مها سعيدة جدا فى هذه المرة التى تزور فيها شرم بالرغم من أنها جاءت إليها مرات عديدة ؛فلم تكن زيارتها الأولى مثل أحمد وياسمين ؛ولكنها سعيدة هذه المرة بالصحبة لا بمدينة السلام , لم تستغرق نورا الكثير وكانت قد أنهت هندامها و أشرفت على أبنائها أيضا و ساعدت مها لتنتهى هى الأخرى و الآن الكل جاهز للخروج لدعوة محمود .

توجهوا لبهو الفندق حيث كان ينتظرهم يوسف , كان يجلس فى أحد كراسى صالونات البهو وكان يتحدث فى هاتفه , لم تدر نورا ما هذه الغصة التى أصابتها فور رؤيتها ليوسف وهو يتحدث فى الهاتف , تزداد المرارة فى حلقها كلما اقتربت منه كانت تنظر له محاولة إخفاء ملامح الضيق على وجهها , بينما هو ينظر لها مبتسما و يكمل حديثه وما إن

وصلت أمامه حتى أعطاها الهاتف قائلا " أمك تريدك يا نورا " رحبت أمه بها وكان صوت الفرحة يملأ حديثها , كم صادقة و صافية دعوات هذه الأم , دعت لهما بدوام الفرحة و الجمعة الحلوة عن قريب , شكرتها نورا بمنتهى اللطف و أغلقت معها الهاتف , كانت تلوم نفسها فى داخلها على ما راودها من شعور سىء قبل أن تعلم من معه على الهاتف , ولكنها مجبرة على شعورها هذا , فعندما رأت يوسف يتحدث فى هاتفه من بعيد تذكرت هشام عندما كان يمسك بالهاتف و يتحدث مع أخريات و يضحك و يبتسم و يتفوه بعبارات الترحيب والعشق و يغلق فورا قبل اقترابها منه بخطوات ؛و يدعى أنها مكالمة عمل بالرغم من أنه يعلم جيدا أنها لن تصدقة فكان يعلم جيدا أيضا أنها لن تتكلم و لن تواجهه , كانت نورا من بين عشرين كذبة تعرفهم جيدا ومن بين ضعفهم من الخيانات تواجهه بواحدة لا لأنها لم تعلم بما يسبق هذه المرة التى تواجهه فيها بل لأنها حاولت تجاهلها لتمر الحياة و لتعطيه فرص صامتة هو يعلمها جيدا كما أنها كانت على يقين أن المواجهات لن تغير شيئا فيه بل ستجرحها هى , يحدث أحيانا أن نتحمل الشىء المدفون داخلنا ولكن وما إن يخرج هذا الشىء و تسمعه أذاننا فنجد الجرح قد ظهر وما عدنا نتحمل ألمه .

وصل محمود وزوجته Kate , رحب بها يوسف فهو يعرفها بالطبع من قبل و قدم إليها نورا , لكن كانت نظرات Kateلنورا غريبة لا تستطيع تفسيرها لشخص تقابله لأول مرة كانت نظرات غير مريحة عامة .

كانت مها أول من لاحظ هذه النظرات أما نورا فلم تنتبه لأن كل ما كان يشغلها سعادتها مع يوسف , دعاهم محمود إلى مكان كان قد فتح من وقت قريب ،وهو مجمع كبير للمطاعم والمقاهى و به منطقة خاصة للأطفال حتى يمكنهم اللعب بأمان دون الملل بالجلوس مع الكبار , وبالفعل اصطحبهم محمود إلى هناك وأول شىء فعلته نورا هو أن ذهبت مع يوسف لترك الأولاد للعب و الاطمئنان عليهم , وكان هناك مربية للأطفال يحاسب عليها بالساعة مقابل متابعة الأولاد والذهاب معهم أينما شاءوا و الاتصال بالوالدين لو لزم الأمر مما طمئن نورا وتركتهم بأمان .

توجهوا بعد ذلك لأحد المطاعم الموجودة فى هذا المجمع وكان قد اختاره محمود لوجود فرقة تخت شرقى به تعزف وتغنى الأغانى العربية القديمة طوال السهرة دون انقطاع ،و يمكنك طلب أغانى خاصة أيضا تعزف وتغنى لك , بدأت Kate بالحديث مع يوسف عن مدى مفاجأتها من خبر خطوبته وهو الذى كان بعيدا عن هذه الفكرة بعد طلاقه من كارلا , كانت Kate تتحدث و تتابع نورا أثناء حديثها , فى هذه اللحظة فقط عرفت نورا أن يوسف كان متزوجا و مر بتجربة طلاق فهى لم تتحدث من قبل معه فى هذا الموضوع , أما يوسف فكان رده واضحا و بدون تفكير , بأنه لم يكن يقدم على هذه الخطوة لو لم يجد من أسرت قلبه و تفكيره ،ولولا نورا فى حياته ما فكر فى الارتباط أبدا لأنه على يقين أنه لم يكن ينسجم مع سواها , فهى نصفه وهو

نصفها , و هو الآن ناضج كفاية ليفرق بين الانجراف فى مشاعر مؤقته وبين مشاعر عميقة و حقيقية .

خفف محمود من حدة الحديث الذى فتحته زوجته ،و بدأ يلقى بعض الدعابات و النكت , و مها كعادتها كانت ملكة الحديث فاصطحبت الجميع من موضوع لموضوع بمنتهى النعومة واللطف فى الحديث .

طلب يوسف من نورا أن يصطحبها للتمشية قليلا و للاطمئنان على الأولاد أيضا وبالفعل قاما سويا .

أمسك بيدها و بعدا عن المكان قليلا وبدأ يحدثها أنها حبه الأكبر و الأقوى ،ولكن و لأنه لم يقابلها من قبل فبالتأكيد هناك حب أول كان فى حياته و بعض القصص التى هو حتى لا يتذكر تفاصيلها .

أما هى فعلاقته بها مميزة , فكل منهما أحب الآخر و تعلق به قبل حتى أن يعرف ظروفه أو خلفية حياته , صمت قليلا، ثم قال لها :

" نورا أنا و أنت حب بين روحين مش حب ظروف و إمكانيات "

قالت له إنها بالفعل تفهم كل ما يعنيه و لم يزعجها أبدا كل ما قالته Kate , أدارها إليه و نظر لها و كأنه اخترق عينيها فدخل إلى داخلها ،و كم أكدت له نظراتها كم هى تحبه بل تعشقه , تعشق طيبته , شفافيته , طفولته , وحبه وحرصه عليها , هى تعلم جيدا قيمة رجل يحب بقلب

طفل يحرص على قلب امرأة ولا يفرط أبدا فى حبها , فلقد عاشت سنوات طويلة محرومة من نظرة حب من ضمة حنان من كلمات صادقة من لهفة لقاء , حتى أنها كانت تظن أنها أقل من أن يحبها رجل و يكتفى بها , أما يوسف فيعرف كم هى تحبه و لكنه فى هذه اللحظة لمح فى نظرتها له خوف أو قلق ما , لكن لم يكن يعرف ما سببه , وإنما هو أرق من أن يمطرها بأسئلة ربما هى نفسها لا تعرف اجابة ولا تعلم ما سبب هذه النظرة الخائفة ،ولكنه اقترب منها فشعرت بدفء قربه منها فضمها ضمة حنان و حب و لف ذراعيه حولها و كأنه يخفيها داخله , قبل شعرها وأخذ يشمه بعمق و كأنه يملأ رئتيه بعبق معشوقته .

دابت نورا فى فيض هذا الحنان و دفء عناقه البرىء الصادق , شعر هو بتسارع و عدم انتظام أنفاسها فأبعد رأسها عن كتفه قليلا و رفع وجهها ليلاقى نظراتها فيرى دموعها الدافئة تسيل على خديها الناعمين , و تتلألأ عيناها بمزيد من الدمع مسح دموعها بيده وهمس لها :

" أنا بموت لو شفت هالدموع , نورا دموعك بتكويني , أنا كلى فدا دمعة واحدة من هالعيون الحلوة " .

قبلها فى رأسها وابتسم ولمس فى رقة شفتيها بيده كى تبتسم , فابتسمت ابتسامة طفلة بريئة فقط اطمأنت فى حضن أبيها , سألها ألا تبكى ثانية إلا عليه فأسكتته قبل أن يكمل , لقد تاهت قبله سنوات فى هذه الدنيا و أخيرا وجدها؛ وكأنه نزل من السماء و به كل ما كانت تحلم به

, ولا تريد من الدنيا إلا هو و أبناءها و أمه التى لم يفت على معرفتهما ببعضهما البعض إلا مجرد ساعات و عبر الهاتف، و لكنها أحبتها وتعلقت بها هى الأخرى ؛و كأن الدنيا صالحتها بعاشق وأم فى نفس الوقت , فكيف بعد كل هذا أن ينطق كلامه بألا تبكى إلا عليه , ثارت عليه قائلة:

" أنا بكيت كتير بس خلاص معاك مفيش بكا , ولا تقول أبدا بعدى , أنا عايزة نكون دايما مع بعض ,و نكمل حياتنا مع بعض كلنا " .

واصلا المشى ليعودا إلى مها و محمود و Kate , أثناء عودتهم أرادت نورا أن تداعبه فبدأت أن تسرع من خطواتها فهم هو اللعبة و بدأ يسابقها و هى تسبقه و تأتى أمامه فجأة كى تعرقله فى السير, فيتحمس هو و يفلت من ورائها ليسبقها , أخذت تضحك من قلبها كثيرا وهو الطفل الكبير يبادلها الضحكات , حتى أن كل من رآهم من المارة أخذ يضحك على لهوهما سويا , إلى أن وصلا ولمحتهم مها من بعيد فابتسمت و لوحت لهم ,و قالت لنورا :

" أنا لسة راجعة من عند أحمد و ياسمين و هم فى غاية السعادة و يلعبان "

اعتذر يوسف عن التأخير و رد عليه محمود بأن العريس يحق له التأخير , فضحك الجميع , لاحظ يوسف أن Kateبدأت تتجاوب و تبتسم و تتحدث بعفوية عن بداية لقائها بهم , و كانت الفرقة

الموسيقية قد بدأت فى عزف أجمل أغانى أم كلثوم و لكن ليست كاملة فتأخذ مقطعا من كل أغنية من أشهر أغانيها و تعيده لو طلب أحد الجالسين منهم الإعادة , قام البعض من الجالسين للرقص على أنغام الموسيقى الشرقية الجميلة , وكانت مها من بينهم فهى العاشقة للمرح والرقص و الموسيقى ،و كان يوسف ونورا يصفقان لها بحرارة ، ثم بعد قليل توجهت لعازف العود و هو قائد الفرقة ،و همست له و عاودت الرقص إلى أن انتهت الأغنية , ثم بعدها عزفت الفرقة أغنية من أجمل أغانى فريد الأطرش وهى أغنية "نورا نورا" فضحك يوسف ،و فهم ماذا كانت تهمس مها للعازف , و أشارت لهما بالانضمام إليها فى الرقص و سحبتهما سويا , و قام محمود وزوجته أيضا و رقص الكل ،ورددوا كلمات الأغنية و أشاروا إلى نورا عندما يأتى اسمها فى الأغنية حتى فهم كل الموجودين أن الأغنية مهداه لهذه الجميلة , و تعيد الفرقة الأغنية مرة ومرة أخرى من شدة حماس الموجودين حتى المارة وقفوا يصفقون و يتمايلون على أنغام نورا نورا يا نورا يا وردة نادية فى بنورة اسمك على رسمة صورة فى القمراية يا أمورة نورا نورا نورا نورا يا نورا , أدرك محمود وزوجته كم أن صديقهم القديم مختلف هذه المرة , وكم هذه الرقيقة تعشقه للعشق ؛ تعشقه لذاته تعشقه هو لا أى شىء محيط به أو يملكه , وكم تحبهم مها بصدق وكم هى سعيدة سعادة الشقيقة الكبرى الحنونة على شقيقتها الصغرى و حبيبها و أولادها , الكل اليوم تفضحه عيناه , الموسيقى العذبة والمدينة الساحرة أخرجت الحب من داخلهم البرىء , ما يحيط بهذا الجمع من

ترابط و حب و صدق صعب أن تصفه الكلمات , فدائما الرائع لا تجرؤ الكلمات عن وصفه فهو أسمى من أن يوصف .

كم كانت سهرة جميلة بل رائعة كأن هذه السهرة فتحت نافذة لنورا و يوسف على عالم به ألوان غير الرمادى الباهت , حيث كانت حياتهم بهذا اللون هما الاثنان قبل ذلك ؛ قبل أن يلتقيا .

أوصلهم محمود إلى الفندق بعد أن أكد على دعوته لهم فى صباح اليوم التالى لرحلة بحرية باليخت الخاص به , ليشاهدوا خليج نعمة و بعض الأماكن المخصصة للغطس , وليسبح من يريد السباحة أو حتى الاستلقاء على ظهر اليخت ليأخذ حمام شمس و يستمتع بالمظاهر الخلابة والجو الصافى , و الشمس الذهبية الساحرة , وكما قال لهم محمود أحد أركان السياحة فى شرم كما يطلق عليه هناك , أن شرم الشيخ فى هذا الميعاد من العام ساحرة و بها أجواء احتفالية و تبدأ أفواج السياح فى القدوم من بداية ديسمبر أو من نوفمبر أيضا , ولكن و لما تمر به مصر من أحداث فالحركة فى قدوم الأفواج قليلة نوعا ما عن كل عام فى نفس الوقت .

عادوا إلى الفندق وراح الكل فى نوم عميق بعد حمام دافئ , أما يوسف فلم يترك يد نورا طول طريق العودة بعد نوم أحمد و ياسمين فى حضن مها التى كانت أسعدهم اليوم ،و هى بين عائلتها الجديدة التى تحبها وتبادلها الحب دون مقابل , وكم أدخلت هذه العائلة الدفء لحياة مها المترفة الباردة , وهو حال نورا أيضا التى كانت دوما ما تردد

لمها " أنت ربنا بعتك ليا يا مها " و تقبلها قبلة الأخت الصغرى لشقيقتها الكبرى ولكن بحنان أم .

وتمر الليلة فى نوم هادئ للعيلة الجديدة , فكم من ليلة ننام فيها دون أرق ولا قلق وكل هذا فقط لأن داخلنا عرف معنى كلمة سلام , لن ننام بعمق إلا مع السلام الداخلى حينها فقط سيهدأ صندوق الرأس فيرحم الجسد و يجعله ينام بعمق .

رن موبايل يوسف فى تمام السابعة حيث كان يظبطه من الليلة الماضية , أخذ حمامه فى عجلة ثم نزل ليهو الفندق قاصدا الصالة الرياضية , وفوجئ بأن نورا ومها بالداخل يمارسان رياضتهم الصباحية , ضحك ضحكته العالية ، و قال :

" وأنا يلى فكرت حالى الأنشط " .

ضحكا له و قالت نورا أنهما قد انتهيا فهما هنا من السادسة و سيذهبان للاستحمام و الاستعداد قبل أن يأتى محمود , وبالفعل صعدا سويا و أيقظا الطفلين و استعد الجميع و تأنقت مها كعادتها , و كذلك يوسف أنهى تدريبه الرياضى و ذهب لغرفته استعدادا للخروج , تقابلوا فى طرقة الغرف ،و ذهبوا لتناول الإفطار ،وكانت الساعة فى تمام التاسعة صباحا , و اصطحب يوسف الطفلين و تولى مسئولية اختيار ما يفضلونه من طعام من البوفيه المفتوح , أما نورا ومها

فاكتفتا بالقهوة و قطعة من التوست و القليل من العسل , نظر يوسف إلى طبق نورا وما تتناوله وقال :

" ممم شايف زوجتى مستقبلا راح توفرلى كتير والله , بتاكل مثل العصفورة " .

دائما فى رحلتهم كان يضفى جو دعابة و يكسر خجل نورا بكلماته الرقيقة غير المتكلفة، و كل من يجلس معه لا يتمكن إلا من مجاراته فى روح الدعابة وخفة الظل وأقل ما يمكنك فعله هو التجاوب معه فى الضحك .

وصل محمود فى موعده وألقى السلام عليهم جميعا ، و هم ينتظرونه فى بهو الفندق , واصطحبهم إلى السيارة التى كانت تنتظرهم فى الخارج و استقلوها متوجهين إلى المارينا الخاصة باليخوت حيث اليخت الخاص بمحمود , وصلوا بالفعل وكانت Kate قد سبقتهم إلى اليخت لتحضير بعض الأمور , بادلتهم التحية و كانت متغيرة للأفضل من ليلة أمس , كان يوسف يعرف هذا اليخت جيدا فلم تكن مرته الأولى عليه , لذلك أخذ يشرح لهم كل شىء عن الرحلة و اليخت ،و بينما هو يتحدث مع نورا ومها قاطعته Kate و أخذت نورا ومها لتريهم الحجرة الخاصة بهم حيث يمكنهم تغيير ملابسهم أو الراحة لو أحبا , الغريب الذى يدهش مها أن Kate كانت تتودد إليهم بشكل ملحوظ وإلى نورا خاصة , حتى زوجها نفسه لاحظ هذا التغيير غير المعروف عنها فهو الذى يعرفها جيدا , ارتدت مها ثوبا للسباحة لونه أسود فى تركواز ومن قطعة

واحدة , أما نورا فكانت تنظر من شباك صغير فى الغرفة بينما كانت مها تبدل ثيابها , جلست مها تنظر لنورا ، و تنتظرها أن تبدل ثيابها هى الأخرى , قالت نورا أنا سأظل هكذا فهى لن تقفز فى الماء للسباحة , و أيضا هى ستخجل وهذا السبب الحقيقى , وتلومها مها فمن أى شىء ستخجلى من جسدك الممشوق أم من بطنك المشدود أم من جاذبيتك التى تحسدين عليها , تدفعها مها إلى الحمام الخاص بالغرفة ،و تقول لها أنها لن تترك هذه الغرفة إلا بلبس السباحة وحتى لو لم تسبح اليوم فيمكنها الاستلقاء لأخذ حمام شمس , أخذت تضحك نورا من حديث مها وإصرارها و لم تعطها مها الحقيبة كاملة بل أعطتها فقط ثوب البحر الذى أحضرته نورا , وتعلم نورا جيدا أنه لا مفر من مها أبدا فاستسلمت و بدلت ثيابها مرتدية ثوبا للبحر من قطعتين أسود اللون ولكن تربط القطعة الأعلى بالسفلى سلسلة ذهبية من الأمام ملتفة حول الخصر , ابتسمت مها لنورا مسجلة إعجابها بثوب البحر فهى أول مرة تراها به , تبتسم نورا لمها وتطلب منها فى توسل بمزح أن تعطيها فقط غطاء المايوه لأنها فقط لن تصعد هكذا ولابد أن تلف نفسها بالكاش مايوه كما يسمى , وافقت مها وهى تبادلها المزح و أعطتها إياه و ساعدتها أيضا فى لفه حولها وكان أسود شفاف وبه رسمة رقيقة ذهبية اللون , سحبت مها بخفة من شعر نورا مشبك الشعر الذى كانت تلم به خصلات شعرها فانسدل على ظهرها و بعض الخصلات على جانبى وجهها مما أكسبها جاذبية و جمال , فكانت راقية كملكة بالفعل , صعدا سويا وكان يوسف منهمك فى الحديث مع أحمد

عن صيد الأسماك و البحر والغطس ، و كانا فى منتهى الانسجام كأب يصطحب ابنه ،و يحاول تلقينه و تعليمه كل جديد يراه لأول مرة , أما الصغيرة الرقيقة كأمها ياسمين فكانت قد استحوذت عليها Kate وكم كانت سعيدة بها ودون أى تصنع , ربما هذا هو السبب وراء تغيرها اليوم للأفضل , فكم أحبت ياسمين , ليس لجاذبية الصغيرة وبراءتها وجمالها فقط , بل لأن Kate ليس لها قدرة على الإنجاب , لا يؤثر هذا على علاقتها بمحمود إطلاقا فلقد كانت متزوجة قبله و علمت جيدا أنها لن تنجب و أخبرته بالحقيقة عندما طلب الزواج منها بعد تطور علاقتهما ، وهو لم يغير رأيه و تمسك بالزواج منها بالرغم من معرفته بعدم قدرتها على الإنجاب، و هو إلى الآن مقدر لما يصدر عنها أحيانا من بعض التصرفات الجافة فيلتمس لها العذر و يلاطفها لتهدأ ،و بينه وبين نفسه يرجع الأسباب لإحساسها بالعجز عن الإنجاب ، و يبين لها بكل الطرق أنه أبدا لن يتغير مهما حدث فهو أحبها هى بكل ما فيها حتى بعدم قدرتها على الإنجاب وكانت له عبارة معها تضحكها كلما قالها لها :

" أنا حبيتك أنت مش رحمك و قناة فالوب بتاعتك ".

تركت مها نورا وذهبت للجلوس مع Kate و الصغيرة ياسمين , أما أحمد فناداه محمود ليريه كيف سينفخ مساعده على اليخت القارب المطاطى الذى سينزله له فى الماء ليجلس عليه لو أراد حيث أن المياه هنا عميقة بعض الشىء فلا يمكنه السباحة فيها بمفرده إلا وهو

مرتدى جاكت خاص , وكانت سعادة محمود بأحمد لا تقل عن سعادة زوجته بياسمين , وكأن كل فرد من هذا الجمع يرتبط بالآخر بطاقة جذب غريبة جمعتهم جميعا ،و جعلت نورا ويوسف هم أسباب هذا الجمع ؛ وكأنهما الحلقات التى تربط كل أجزاء السلسلة , سلسلة جميلة و قوية جمعتهم سويا باختيارهم و سعادة مصاحبة لهذا الاختيار.

أما نورا فبالرغم من خجلها من نظرات عاشقها التى لا يخجل أن يأكلها بهذه النظرات , إلا أن قدميها لم تأخذها إلا عنده , لكن ثمة شيء غريب فى نظرته هذه المرة , و الأغرب أن نظرته تجذبها فلا تملك إلا النظر لعينيه , اخترقتها نظرته و عانقت قلبها وروحها بقوة لكن بحب وفي آن واحد , أما هو فيقول لنفسه " نيالى" فكم هو محظوظ بهذه الجميلة من الخارج والداخل , كانت تسمع صوت داخله و تفهم حتى ما لم يتفوه به , مشاعره مع نورا جديدة عليه فلم يعشها من قبل , حتى بالرغم من حبه لكارلا إلا أن ثمة شيء كان ناقصا بينهما دائما , كان يقتربا من بعضهما هو وكارلا , لكن كان هناك شيء غير واضح يقطع هذا الاقتراب , فيجعل العلاقة بينهما كالدائرة غير المكتملة .

وهل هناك دائرة غير مكتملة ؟ لا , فالدائرة إما مكتملة أو غير دائرة .

و صل اليخت إلى المنطقة التى كان يقصدها محمود " رأس نصرانى " و هى من أجمل المناطق للغطس فى شرم و معروفة عالميا ، و تقع عند

ملتقى خليج السويس و خليج العقبة , و وعدهم لو امتدت رحلتهم سوف يصطحبهم فى كل رحلة لمنطقة غطس أجمل من الأخرى , و حدثهم عن مناطق الغوص المحلية التى يمكنهم الذهاب إليها من أحد مرسي القوارب فى خليج نعمة , حيث يمكنهم الوصول إلى أى من مواقع الغوص السبعة عشر فى مدة تتراوح بين عشرة دقائق لأقربها و سبعين دقيقة لأبعدها , حيث يقع شمال خليج نعمة ثمانية مواقع غوص و هي

- رأس جميلة و هى أبعد موقع
- رأس نصرانى التى قصدها محمود اليوم

و باقى المواقع قريبة من بعضها وهى " رأس بوب – وايت نايت – شارك باى – فار جاردن – مدل جاردن – نير جاردن "

أما باقى مواقع الغوص تقع جنوب خليج نعمة و منهم " صدفة – تاور – بنكى وول – امفوراس – تيرتل باى – باراديس – رأس أم السيد – تمبل "

و شرح لهم أن جميع مواقع الغوص هذه محمية من الأمواج و التيارات القوية , و أكد لهم أن الغوص فى هذه المواقع يصلح لأى غواص مهما كان مستواه , كما أن هذه المواقع غنية بالأحياء المائية و المرجان و الأسماك المتنوعة , و كل رحلة باليخت سيأخذهم لمنطقة غوص مختلفة , كما وعد نورا بأن يعلمها الغوص لو أنها تريد , فرحب

يوسف جدا و فرحت نورا , و قال لها محمود أنها ربما بعد عدة مرات قليلة لن تحتاجه و ستكتفى بيوسف فيوسف غواص ماهر ،و يأتى للغوص من سنوات طويلة , رحبت نورا فهى تريد مشاركة يوسف فى كل شىء .

فأوقف اليخت و أنزل مساعديه القارب المطاطى الكبير الذى كانوا قد نفخوه إلى المياه , و ساعدوا مها و Kate و الطفلين في النزول إليه , و لبس محمود واستعد للغطس والتقاط بعض الصور للقاع الساحر بألوان أسماكه و كل ما يوجد بقاع بحر المدينة الساحرة التى كان يريد أن يريها لأحمد كما وعده فقال له أنه مازال صغيرا ولا يستطيع الغطس بالطبع ولكن محمود سيلتقط له صورا بالكاميرا المخصصة للتصوير تحت الماء ليريه ما يوجد بالأسفل .

انشغلت مها و Kate بالحديث عن الكريمات و الزيوت التى تكسب السمرة للبشرة وعن عمليات التجميل و الاهتمام بأجسادهن و حديث من هذا القبيل , و الطفلان مبهوران بصفاء المياه وما يظهر تحت سطح المياه من أسماك تمر من حين لآخر.

بينما كان هذا يدور فى أسفل جانب اليخت حيث السلم المربوط فيه القارب المطاطى , كانت نورا و يوسف فى خلفية اليخت يخيم عليهما الصمت , صمت الحديث , لكن لم يغب عنهما أبدا حديث الروح , حديث داخلهما , نهض هذا الطفل فى هيئة رجل وسيم و خلع تيشيرت أبيض كان يرتديه و خلع أيضا شورت من الجينز كان يرتديه ولم يتبق

إلا ثوب السباحة فقفز به فى المياه ثم أشار لها " يلا حبيبى" تضحك نورا وترد " مجنون" فيرد هذا المجنون " يلا يا روحى بدل ما اطلع و أخدك " و ترد نورا " أنا مش بعرف أعوم " يتفاجأ " لا بتمزحى , طيب لا تخافى أنا معك " فنظرت له نظرة ساخرة لأنه صدقها و بجرأة لم يشاهدها فى عينيها من قبل تقف و تفك بخفه ربطة الكاش مايوه و يسقط على الأرض عن هذا الجسد الممشوق , و اقتربت من سلم النزول و نزلت فى مشهد يصف فعلا امرأة لا تجيد السباحة و تلامس المياه بقدمها الصغيرة البيضاء ،و إذا بها تطلب منه الابتعاد قليلا فيقول لها لا تخافى و يمد لها يده كى يحملها فى المياه فهى التى لا تعرف السباحة , وإذا بها تبعد يده لتنزل فى المياه و تسبح فى سرعة و تشق المياه بيدها و تضربها بقدميها ولا تكتفى فقط بالسباحة والابتعاد عنه لا بل و أخذت فى عمل حركات استعراضية فى المياه لتسخر منه عندما صدقها لكونها لا تعرف السباحة , تلمع عيناه إعجابا بهذه الماكرة ،و يسبح بجسده الطويل ناحيتها و يغطس تحت المياه ليحملها من بين قدميها من أسفل و يرميها فى المياه انتقاما منها على خداعه , و تسبح هى وتعود ثانية و يضحكان سويا و يمزحان مع بعضهما بإلقاء المياه على وجه بعضهما البعض , و يدخلان فى سباق تارة , ثم عادا إلى سلم اليخت مرة أخرى فجلست نورا على آخر درجة فى السلم و قدماها ما زالتا فى المياه قائلة له :

" خلاص كفاية كدة أنا بجد مش بعرف أعوم ".

كان يحدق بها وكأنه لا يسمعها , لم يكن هو الرجل الأول الذى ينظر إلى جسدها كجسد أنثى , ولكن تحلل هى هذه النظرة لتكتشف أنه شتان بين رجل ينظر لجسدها و نظرته كلها شهوة ولا يتعامل مع روحها أبدا فكل تعامله مع الجسد فقط , يضمها وكأنها قطعة لحم , وبين نظرة كلها حب و قبل الحب حنان وحذر كل الحذر من أن تجرحها نظراته , اقترب منها و أمسك بيدها قبل هذه اليد الصغيرة الناعمة , شدها نحوه لينزلها ثانية إلى المياه الدافئة ولكن هذه المرة أنزلها إلى أحضانه دون سباق أو خدعة منها , كانا يحركان أقدامهم كالعجلة و المياه تحملهم و يدا يوسف تطوق خاصرها و ينظر لها فى عينيها و يحدق بهما و يقول لها " بحبك" " بموت عليكى" " أنت روحى " لم يملك نفسه إلا و اقترب منها ووضع رأسه على كتفها و أخذ يتنفس رائحتها و يشعرها بدفئه و يقترب من أذنها ليهمس بها " بحبك يا أرق و أجمل مرة عالأرض كلها" قبلها على رقبتها تحت الأذن و قبلة أخرى و أخرى و أخرى ولم تصده هى أبدا , لم تصد هذا الشعور و كأنه أول رجل يضمها بين ذراعيه و يفترس أنوثتها وإنما فى منتهى الرقة و أخذت تضمه هى الأخرى , أبعد رأسه عن كتفها قليلا ليرى هذا الوجه البرىء , هربت من عينيه.. من نظراته , سألها " بتخجلى منى ؟" ابتسمت و أماءت برأسها بالموافقة , فابتسم و طبع قبلة على خدها و قال " خلاص أنهينا فترة التعارف " ضحكت فرفع ذقنها لأعلى بيده ليرى عينيها اقترب منها قليلا بمنتهى الحنان والرقة ولم ترفضه بل ضمته هى الأخرى , أخذ يشم أنفاسها فأغمضت عينيها و زابت فى رائحته و

أنفاسه , فلمست شفتاه شفتيها الدافئة فى حنان وكأنه يلمس فراشة من رقتها يخشى أن يخدشها , لم يترك شفاها و لكن برقة وحب , كانت هذه القبل و هذا العناق هما التاج الذى توج الانسجام والكيمياء بينهما , رفعها على يديه حاملا إياها و أخذ يدور بها فى المياه و كأنها طفلته المدللة .

ما هذا الرجل ما سر تميزه , هو أسير لأنوثتها و مدللها كطفلة فى آن واحد , لم تتحقق هذه المعادلة إلا فى رجل يحب بصدق , رفعها كطفلته من خصرها المشدود على أول درجة السلم , وأخذ ينظر لها بحب و امتنان لم يكن هو فقط من أعطاها فرصة أخرى للحياة بل هى أيضا فجرت حبه، و أعادت الحياة لقلبه مرة أخرى و أعادت الضحكة للطفل الذى بداخله , و أيضا لم يحدث ذلك إلا بحبها الصادق له .

قالت له :إنها سوف تصعد و ترتدى وشاحها و تذهب لمها والأولاد من أعلى أما هو فسبح فى المياه ليصل إليهم , وبالفعل وصل لهم يوسف وبدأ يلهو مع ياسمين و أحمد و أقنع أحمد بارتداء جاكيت السباحة والنزول معه إلى المياه للسباحة إلى أن يعود محمود , رفضت ياسمين القفز فى المياه و طلب يوسف وتركها مثلما تريد جالسة بمايوه زهرى اللون مستلقية بين مها و صديقتها الجديدة Kate التى كانت بين الحين والآخر ترطبها بالكريم الواقى من أشعة الشمس كى لا تحترق بشرتها الرقيقة "

" جيتى يا مامى , إيه المايوه الجميل ده "

هكذا استقبلت ياسمين نورا ،و دعتها مها لتستلقى بجانبهم لاكساب سمرة لجسدها , رفعت Kate رأسها موجهه سؤالها لنورا هل أحمد و ياسمين أبنائك ؟ كنت أظنهم أبناء مها , ولم تقف عند هذا السؤال بل أكملت بسؤالها هل كنت متزوجة من قبل يا نورا ؟ ردت نورا بالطبع و إلا من أين لى بأبنائى , ابتسمت ولكن ابتسامتها لم تخف خوفا وقلقا لم تكن تعرف نورا ما سببهما , ربما على ذكر زواجها تذكرت أنها مازالت عالقة مع هشام ،و لم تنته قصتها معه , و الهم الأكبر أن يوسف لم يسألها عن أى تفاصيل و كيف لها بعد هذا الالتحام بينهما أن تبادر هى و تقص عليه تفاصيل حكاية زواجها و أنها مازالت متزوجة , كل هذا هى قادرة على مواجهته ولكن ما تخاف منه حقا هو شىء واحد , هل تتغير نظرة يوسف لها و هى المتزوجة التى أحبته وهى مازالت متزوجة برجل أخر , فهل ينظر لها على أنها زوجة خائنة , وهل هى خائنة فعلا , هل العواطف الصادقة يمكن أن تكون خيانة دون أن تقصد أو ترى , أم أن الخيانة هى استمرارها فى علاقة مع رجل لا يربطه بها أى شىء الا أنها علاقة زواج على ورق , أليست هذه هى الخيانة بعينها , أليست هى كذلك خائنة لجسدها لروحها لعواطفها لأحاسيسها ؟

أفاقت من شرودها على مها وهى تشدها من ذراعها متجهه بها إلى داخل اليخت , فزعت نورا :

" فى إيه يا مها ؟"

تسأل مها نورا عما إذا كانت لاحظت ما يرتديه يوسف فى رقبته , تعجبت نورا من سؤال مها و لم تفهم منه شيئا ،و بالتالى هى لا تعرف ماذا تقصد بما يرتديه فى رقبته , وطلبت منها شرح طلاسم كلامها غير المفهوم .

لم تجد مها أى كلام وسط ازدحام أفكارها و تحت إلحاح نورا المستمر قالت مها :

" نورا أنت كنت عارفة إن يوسف مسيحى الديانة ؟ "

هكذا قذفت مها جملتها فى وجه نورا ..

أما نورا فسمعت جيدا ما قالته مها لكن ماهذا وماذا يعنى , كلام غير مرتب يدور فى رأسها و تعجب لا تعلم من ماذا , صوت يوسف فى الخارج ينادى على نورا ومها , فطلبت مها منها الخروج الآن و عدم الحديث فى أى شىء يفسد اليوم , فخرجا سويا , قابل نورا بعناق قوى حتى أنه رفعها من على الأرض الخشبية و جنون الفرحة يملأ صوته، و أخبرها أنه قد طلب يدها من أحمد , تبتسم نورا و تهنئه مها ولكنها تلومه فهى شقيقتها الكبرى كما يقول فكيف له لا يطلبها منها أولا , يقبلها يوسف و يأسف لأن حديثها صحيح ،و يعاود الضحك و يطلب يد نورا مرة أخرى من مها ،و توعده مها بأنها ستفكر فى الأمر و يضحك الجميع و يحضنها يوسف ،و يخبرها أنه يشعر أنها شقيقته هو الآخر

كما هى شقيقة نورا . لو أنك أمام هذا الرجل فلن تمنع نفسك من أن تفتح له قلبك و تجاربه فى مزحه و ضحكاته , تنفرد به مها كى لا ينتبه لتغير نورا , وتسأله عما حدث بالتفصيل .

هذا ما دار بين مها و يوسف , أما نورا وكأن رأسها يدور فى مكان آخر , فيسألها مستمرا فى مزحه ..

" نورا شايفك مصدومة وشاردة , بعرف المفاجأة قوية , بس ديرى بالك بسحب طلبى حالا أصلا بعرف أنا فرصة "

تعرف مها ما يدور الآن فى عقل نورا فتسحب يوسف و يسيران سويا مكمله معه الحديث طالبه منه أن يشرح لها كل هذه التطورات التى حدثت بينه و بين أحمد , و فى نفس الوقت تنظر لنورا لتحاول التصرف بطريقة عادية كى لا يلاحظ يوسف تغير طرأ عليها فيمطرها بالأسئلة .

أخبرها يوسف أنه سأل أحمد و ياسمين إن كانا أحباه أم لا , وبالطبع هو يعرف الإجابة فتبع سؤاله الأول بسؤال ثان، و سألهم إن كانا يحبان أن يعيشا جميعا هو وهما و أمهما فى بيت واحد ،و يسافرون معا دوما داخل مصر وخارجها , و بالطبع أجابا بنعم فقال لهم :إنه يمكنه تحقيق كل ذلك وأكثر و سيأتى ببيت جديد أكبر ليعيشوا به جميعا ،و أيضا بيت آخر بلبنان و شرح لهم ما هى لبنان و أنها بلده ،ولكنه يعشق مصر أيضا و أخبرهم أنه هو أيضا لديه أم مثلهم لكن

أمه كبيرة فى العمر و أخبرهم أيضا أنها ستحبهم كثيرا و تدللهم عندما تراهم فهى تحب الأطفال و تجيد اللعب معهم و رواية الحكايات لهم أيضا , و بذلك سيكون لهم بيتان و دولتان سيسافران بينهما .

فرحت نورا بحديث يوسف لها , و كانت تسمعه و تتابع النظر فى قلادته المتدلية على صدره العارى فهو مازال بلبس السباحة , و بالفعل فهمت ما كانت تتحدث عنه مها معها فى الغرفة منذ قليل , ربما لم يلحظ يوسف تحديق نورا فى قلادته و فسر شرودها على أنه من أثر مفاجأة حديثه .

عاد محمود و التف حوله الجميع بينما هو يحتضن أحمد فى منتصف صدره بين قدميه ليريهم ما التقطه هو ومساعده تحت الماء من صور شعب مرجانية و مجموعات من الأسماك الملونة و رأوا مدى جمال القاع و روعة مخلوقاته , و شرح لهم عن كل شىء كان قد صوره لهم , و حدثهم أيضا عن رياضة الغطس، وكما تسمى رياضة النخبة و عن الأماكن التى تمارس فيها هذه الرياضة هنا فى شرم الشيخ التى تعتبر من أماكن الغطس العالمية، و من الأماكن التى تمارس فيها رياضة الغطس فى شرم هى , رأس نصرانى وهى التى كان يقف بها اليخت و غطس فيها محمود وهى تقع عند ملتقى خليج السويس و خليج العقبه.

كان حديث محمود و شرحه عن تفاصيل الغطس فى شرم شيق لكل من يلتفون حوله حتى زوجته التى تغطس معه كثيرا بعد أن علمها

بنفسه و يوسف أيضا كان قد تعلم الغطس على يد محمود من سنوات طويلة و يمارس رياضة الغطس كلما جاء إلى شرم , إلا فى هذه المرة فهو يكتفى بالجلوس مع من جاء معهم وهو فى حد ذاته لا يقل بالنسبة له عن متعة الغطس ,

أنهى محمود حديثه الشيق عن الغطس و شاهدوا جميعا ما التقطه من صور , و قام يوسف ومحمود لتحضير الغداء و عرضت مها مساعدتهما و لم تستسلم لرفض محمود فهى لابد من أن تشارك أو تشرف على الأقل فى إعداد الطعام , و بالرغم أن كل شىء كانت أحضرته كيتى و سبق تجهيزه إلا أن الشواء هو أساس الطعام الجيد , وكان محمود ويوسف خبيرين فى الشواء و أيضا قالت لهم نورا أن من انضمت إليهم حديثا وكانت تقصد بحديثها مها أنها لا تقل عنهم خبرة فى الشواء و حفلات الشواء بل و فى أمور المطبخ و العزائم و الترتيب والإعداد لها , كان الجو المحيط ممتعا، و الحديث يدور بينهم جميعا فى ود و حب حقيقى غير مصطنع , بالرغم من أن هذا الجمع لا تربطه صلة قرابة دم ولا حتى نسب إلا أن الصداقة الحقيقية دون أى وجود للمصلحة أو أى غرض آخر لو تحققت فتكون أشد وأعمق من صلة الدم ،و هو ما يتضح فى هذا المشهد على سطح اليخت المملوك لمحمود المصرى الجنسية و معه يوسف اللبنانى الجنسية القبطى المارونى و نورا حبيبته التى ارتبط بأبنائها وكأنه أب لهم بالدم وولدوا على يديه ،و مها الصديقة التى لا تنظر لنورا إلا كشقيقتها الصغرى ،و يوسف زوج شقيقتها المستقبلى ، و حتى Kate القادمة من عاصمة الضباب

وبلاد الغيم طول العام بريطانيا و التى كانت ومازالت تجمعها صداقة قوية بكارلا طليقة يوسف ، و ربما هو سر تعاملها الحذر مع نورا فى بداية الأمر إلا أن بالحديث من القلب و الضحك غير المتكلف خيم على هذا الجمع روح قرب و حب حقيقى , وربطتهم رابطة من اختيارهم فكل منهم يتعامل مع الآخر عن اختيار , غير مجبورين بالمرة على تقبل الوضع مثلما يحدث بين الكثيرين من من تربطهم صلات قرابة ومن نفس العائلة و تراهم أبعد ما يكون , حتى ولو ابتسمت الشفاه و لبسوا قناع على وجوههم يظل القناع قناعا، و يظل التقرب شكلى دون أى عمق.

مر اليوم على سطح اليخت أروع مما كان مخططا له من محمود و زوجته، و حتى مما توقعه يوسف ،و ما تمنته كلا من مها و نورا , مر فى سلام ونقاء و سعادة ما بداخل أحمد و ياسمين , فلا أنقى من داخل الأطفال , و محظوظ كل من احتفظ بنقاء داخله حتى وإن شاب خارجه .

قرب النهار على الانتهاء و قرب قرص الشمس على الغوص فى مياه الخليج وكان الجميع قد بدل ملابسه استعدادا للعودة , و عند العودة أخبر يوسف نورا أنه سوف يمر عليها ليلا ليأخذها فى نزهة بمفردهما لو لم يوجد ما يمنع ؛حيث أنه يريد الحديث معها , وافقت مبتسمة و لكن يدور فى رأسها ألف سؤال و ألف لعنة منها على الحظ الذى دوما ما يأبى أن ينحنى لها , فالوحيد الذى دق له قلبها و عانقت روحه

روحها و انسجمت معه يكون على ديانة أخرى , ثم يأخذها إعصار رأسها فى دائرة تفكير أخرى فتلطم رأسها بسؤال:

" ماذا عن زوجك الذى هو من نفس دينك ، و ماذا رأيتِ منه إلا الخيانة والهجر ؟" .

هل الأديان نزلت لجمعنا نحن البشر بمختلف ألواننا و لغاتنا و جنسيتنا أم جاءت لتفرقنا ..لتباعد بيننا ..لتخلق فكرة أن ما عدا معتقدى فهو الخطأ ولا صحيح إلا أنا , ربما أكون أنا صحيحا.. ربما .. ولكن هو أيضا صحيح .

من وضع الحدود وسماها حدودا، ومن فرق على أساس العرق واللون , أهى الأديان أم نحن البشر , وهل الدين إلا رحمة و تقبل للآخر و محبة و نور و عطاء و تسامح وكل كلمة من شأنها الخير و إفشاء الحب والسلام .

انتهت الرحلة و عادوا جميعا لكن لم تنته المشاعر التى جاءت بها هذه الرحلة , لم يتركهم محمود و زوجته بعد أن وصلوا لميناء اليخوت فى خليج نعمة ؛وإنما اصطحبوهم فى سيارته مرة أخرى إلى الفندق وودعهم ، و خاصة صديقه الجديد أحمد فكم تعانقا و علا صوت سلام أيديهما مثلما يسميه محمود "سلام رجالة " و بالطبع تمنى محمود أن يتكرر لقاؤه بهم طوال مدة وجودهم فى شرم ،و دعته مها و نورا أن يأتيا غدا هنا للأوتيل ،و قضاء اليوم معهم ثم الخروج ليلا

للتسوق , وافقت Kate على الفور فكم تغيرت مائة و ثمانين درجة ،و وقعت فى حب هذا الجمع و ضحك محمود و وافق بالطبع مرحبا بالفكرة , و غادرهم على وعد بلقائهم غدا .

تركهم يوسف على باب الغرفة و بلهجته المازحة طلب من مها أن تسمح لنورا بالخروج معه مساءً , ردت مها ..

"موافقة لكن معنديش بنات تسهر برا البيت , يعنى متتأخروش عن الساعة ٣ صباحا " .

انفجر يوسف و نورا فى الضحك و غمزت له مها ..

" مش أنت لوحدك اللى دمك خفيف , أنت هنا فى مصر بلد النكتة " .

يرن هاتف نورا فتحدق فى رقم المتصل لتجده رقم هشام فتسعد لكونه لم يتصل إلا بعد أن دخل يوسف لغرفته , فترد مباشرةعليه:

" ألو .. ألو "

هشام :" أنا سامعك بس ساكت كنت عاوز أسمع صوتك "

هكذا جاءها صوت هشام و هذه اللهجة التى لم تعتد عليها منه , و يكمل هو :

" أنا كلمتك فى البيت كتير أوى و محدش رد , وإيه الدوشة دى ؟ أنت فين ؟!"

obeikandi.com

صمتت قليلا لتفكر قبل الرد عليه , ليس خوفا منه ولكن لا تعرف لماذا , ربما هى تخشى ردة فعله من علمه بسفرها وحدها مع الأولاد , أو من سيل الأسئلة التي يمكن أن يمطرها به مع مين وليه ولماذا الآن , ولكن هى تعلم جيدا أنه مختلف معها فى هذه المكالمة تعلم هذا , و شعرت به من أول حرف تفوه به معها , ربما لم يكن صمتها إلا محاولة لفهم هذا التغير فيه , أهذا هو هشام , أهو يعنى ما قاله أنه يصمت لسماع صوتى ؟ أهو قال هذه الجملة من الأساس ؟ ما هذا اليوم لم تستطع حتى التركيز للتفكير فى شىء واحد والوصول فيه إلى نتيجة .

هشام :"نورا رحتى فين "

نورا : " أيوا , أسفة يا هشام بس صوتك متغير , أنت كويس ؟"

هشام : " لأ يا نورا أنا مش كويس , أنا تعبان , وهموت من اللى وصلنا له , أنا مش ممكن أسيبك يا نورا ولا أسيب ولادى , أنا تعلمت الدرس يمكن أخذت وقت لكن صدقينى أنا مش هشام اللى طول عمرك من يوم ما عرفتيه زعلانة منه , أنا هشام اللى أنت كنتِ بتتمنى أن يكون , أنا مش قادر حتى أتخيل فكرة طلاقك منى , كل شىء يتصلح , وأنا اللى هصلحه أنت معملتيش حاجة أصلا علشان تصلحيها , أنا اللى مسئول و هخلق ليا و ليكى ولولادنا حياة جديدة نعيش فيها كلنا , أنا هعمل كل حاجة أنت عاوزاها إلا أنى أسيبك , أنا مش ممكن أعوضك أبدا لو خسرتك , وأنا مش عاوز أخسرك , أنا مش عارف مالى أنا ضعيف أوى يا نورا ومحتاجلك مش محتاج غيرك.. غير حضنك .. أنا كان عندى

شوية لخبطة فى الشغل بس الحمد الله خلصت ،و كل حاجة مشيت أحسن من الأول و أكيد هنزل مصر زى ما وعدتك فى أقرب فرصة بس مش علشان نتفاهم فى فراق ووجع , لأ علشان ترجعوا معايا مش هرجع غير بيكم , و هنتكلم و كل شىء هيتحل "

و كأن كلام هشام كان بمثابة مفتاح قديم لباب ثقيل يغطيه التراب ويخفى لونه و نقشاته , فتح المفتاح الباب على سرداب معتم مهجور وما إن انزاح هذا الباب و صوت أنينه، وهو المغلق من سنين إلا وانفجرت من ورائه دموع نورا ساخنة ،و لم تتفوه بجملة واحدة مفهومة من بين كلماتها المتدافعة كالحمم البركانية , لم يميز هشام ماذا تقول من شدة انفعالها و هى لم تتوقف لحظة واحدة ،و تلف ضاربة الأرض بقدميها متجولة فى كل أنحاء الغرفة , غاضبة ثائرة كالمذبوح ينزف و ينزف لا هو يفارق الحياة ولا أمل من نجاته رغم كل ألمه فهو لا يستغيث فقط هائج لا محالة .

نورا : " أنا ! تسمع صوتى أنا ! وليه يعنى الشرف ده , و كمان مينفعش تسيبنى ولا تسيب ولادك , أمال يا ترى الوضع اللى أنا فيه ده من سنين تسميه إيه , و مش هتلاقى زيى , أكيد فى دى معاك حق هتلاقى فين واحدة هبلة شافت و عرفت خياناتك و سامحت وفضلت تتمنى بس إنك تفوق , إنك تشوفها , إنك تعرف أنها موجودة وبتحس و عندها مشاعر , أنت عارف الوضع فى مصر من يناير ٢٠١١ ولا أنت مش بتابع الأخبار , أنت عارف يعنى إيه ست فى سنى و ظروفى و عايشة

لوحدها بطفلين ولا أنت مش من البلد دى يا باشمهندس , أنا حتى لو صدقت كلامك وأنت صادق فيه فعلا , خلاص معدش ينفع يا باشمهندس أنت جيت متأخر و متأخر أوى كمان , أنا وأنت خلاص حكايتنا خلصت , ولو أنت فعلا ممكن تعمل ليا حاجة حلوة واحدة بس هى إنك تطلقنى , و تنسانى زى ما كنت دايما ناسينى "

فتحت مها باب الغرفة الفاصل بين غرفتها ونورا وغرفة الأولاد بعد أن انتهت معهم من تغيير ملابسهم و جلسوا لمشاهدة بعض أفلام الكرتون , دخلت و أغلقته ثانية طالبة من الأولاد ألا يجىء أحدمنهم بحجة أنها ستبدل ملابسها هى الأخرى ؛ولكنها جاءت على صوت نورا , وكانت تخشى على الأولاد من رؤية أمهم فى هذه الحالة , لم تكن نورا قد أنهت مكالمتها فأشارت لها مها أن تهدأ وتذهب لاستكمال الحديث فى التراس الخاص بالغرفة خوفا من أن يسمعها الأولاد , و بالفعل اتجهت للتراس وفتحت بابه و دخلت لاستكمال الحديث أو بالأحرى الصراع , و تكمل هى ..

" أنا خلصت كلامى و معنديش كلام غير ده و يا ريت كفاية كده بلاش نتعب بعض , أنا وأنت بينا ولاد هيربطونا لحد ما واحد مننا يفارق الحياة فبلاش نعقد الأمور , رتب مواعيدك و شوف هتقدر تنزل مصر إمتى علشان نخلص الموضوع "

صمت هو طيلة حديثها ولم يقاطعها بكلمة واحدة و بعدما أخبرته أنها انتهت رد عليها :

" نورا فى راجل تانى ؟"

تصمت نورا , يزداد هو فى إصرارة ويعلو صوته:

" فى راجل تانى ؟ ردى عليا أنت فى حد فى حياتك ؟"

نورا : " مش من حقك تسألنى السؤال ده "

هشام : " وأنا لازم أعرف"

نورا : " لأ مش لازم .. زى ما أنا مش لازم أعرف أنت كنت بتعمل إيه من ساعة ما سافرت لحد دلوقتى "

هشام : " أنا غيرك و ملكيش دعوة بيا , أنا راجل و لو أنا مش نضيف أنت إيه أنت إيه يا نورا , ردى عليا فى راجل تانى ؟"

نورا : " أيوا .. فى راجل تانى , راجل بجد , راجل عارف إنى إنسانة , روح و عقل قبل ما أكون جسم , و دلوقتى أنا هقفل علشان مش عاوزة الولاد يسمعوا حاجة , وعلى فكرة عمرى ما قلت ولا هقول لهم حاجة وحشة عنك عن أبوهم ومش عشانك , لأ علشانهم ..هم ملهمش ذنب"

كان هشام كمن استقبل خبر وفاة شخص عزيز ،لكنه كان يعلم جيدا مدى خطورة مرضه و أن المرض وصل لمرحلة متأخرة , لكن ماذا كان ينتظر و هو على علم بهذا , أكان ينتظر المعجزة , وهل تحدث المعجزات إلا تحت عباءة الحب والعشق , ترى هل تحت مياه هشام الراكدة مع

obeikandl.com

نورا حب و عشق لها فاق الآن فقط لكونها تضيع , هل من يقينه بحبها له فعل معها كل ما فعله

هل دوما يتوقع الرجال زوجات فى سخاء أمهاتهم تسامحهم دون حدود , تقبل بهم كما هم , مهما صدر منهم لا تتغير هى كحقيقة الأم لا تتغير أبدا مهما بعدوا عنها ، هى أمهم موجودة و فقط , يريدونها تلبى و بحب تعطى ولا تنتظر , حتى نظراتها لا تشع إلا الحنان , حتى وإن حدث و غضبت , تغضب قشريا أما داخلها لا يعرف إلا حب من أتت بهم لهذه الحياة .

كانت هى كذلك معه لكنها ليست أمه لذلك هى لم تقو على الاستمرار فى عباءة الأم .

لم تنتبه نورا أن التراس الذى تقف فيه و تقذف النار فى حديثها مع هشام لا يفصله عن التراس الخاص بغرفة يوسف إلا حائط قصير يمكنها حتى أن ترى من خلاله غرفة يوسف نفسها , ولكنها نظرت و لم تجده و تمنت لو لم يكن سمع ثورتها .

كان يوسف قد خرج فى التراس الخاص بالغرفة بالفعل فور سماعه لصوت نورا العالى لكنه بالطبع لم يرد التصنت عليها و معرفة أسباب صوتها العالى ومع من تتحدث لكنه كان رد فعل طبيعى منه , لكنه وقف ثابتا مكانه عند الباب و لم يكمل خطواته , فهم من حديثها ومن انفجارها أنها مازالت عالقة فى زواجها الأول , غلى رأسه وكأن عينيه

ستنفجر من شدة الغضب ,و لكن لماذا يغضب وهو يدرك جيدا ومن ساعات قليلة كم تعشقه هذه المرأة و كيف عانقته وهو فهم جيدا و أحس بمدى حبها له من عناقها , و أيضا هو لم يسألها من قبل عن تفاصيل زواجها الأول فبالتالى لم يلمها أبدا .

وانتبه إلى أنها هى الأخرى لم تسأله عن علاقاته من قبل أن يعرفها ،وهل كان متزوجا أم لا و تذكر أن العلاقة بينهما تدرجت إلى ما هم عليه الآن فهو لم يكن يخطط أبدا للارتباط ،و لم يكن يعلم أنه سينجذب لها بكل هذا القدر و هى أيضا .

فابتسم لحظة و عرف أنه هو وهى نصفان لروح واحدة , جمعهم القدر دون ترتيب , كم أحب كل منهما الآخر دون الدخول فى أية تفاصيل , كم كان عناقه لها عند سلم اليخت فى الماء حلو عذب رقيق و صادق و لكن كم من مرة عانقها دون أن يلمسها , عانقت روحه روحها فهناك عناق للروح له رجفة و دفء و يخفق معه القلب لكن لا يحكمه مكان ولا زمان .

دخل و استعد ليقابلها كما اتفق معها و بعد أن انتهى من ارتداء ملابسه , وهاتف والدته و كالعادة بخفة ظلها و مزاحها الذى ورثه عنها تلومه على عدم اتصاله بها طوال النهار، و تقول له إن نورا من الآن أخذته منها فيضحك و يذكرها بأن نورا ابنتها هى الأخرى و أنت من ستأخذنا نحن الاثنين لدفء حضنك , يضحكان و تقر له أنه دائما يغليها بحلو حديثه كيفما كان يفعل والده , ينهى حديثه معها و يدق

لنورا ليخبرها أنه مستعد , ردت عليه و أدرك هو من أول ما تفوهت به أنها كانت تبكى ،و لكن حدثها و كأنه لم يلاحظ شيئا و قالت له إنها هى الأخرى مستعده فطلب منها أن تلقاه عند الباب فى طرقة الغرف الخارجية , كانت مها بجوارها وهى تحدثه و سألتها ماذا ستقول له فهو سيدرك فور أن يراك أنك كنت تبكين و لن يكف عن سؤالك عن أسباب ما أنت عليه , لكن نورا لم تكن تريد أن تلغى موعدها معه ،و بالفعل خرجت نورا لتجده ينتظر, وكان كعادته مبتسما ساحرا يحدق بها بمنتهى الحب , لكن أدهشها أنه لم يتعجب من منظر عينيها الحمراوتين ،وحتى لم يسألها عن سبب بكائها أو هل كانت تبكى أصلا .

مد يده لها فصافحته فأمسك بيدها و قبلها و مشى بها لداخل غرفته التى كان قد ترك بابها مفتوحا , فتقول له هل نسيت شيئا بالداخل , فنفى بحركة من رأسه , و سحب يدها برقه و أدخلها و أغلق الباب و أجلسها على كرسى مقابل لطاولة مستديرة صغيرة نوعا ما بجوار التراس و ذهب و أحضر لها من ثلاجة الغرفة بعض العصير ،و جلس أمامها على ركبتيه أرضا و أخذ من قدمها متكئا له و رفع بيده وجهها و نظر لعينيها ،و قال لها إنه سمعها عن غير قصد و هى تتحدث فى الهاتف ،و فهم كل شىء و لم يعن له ما كانت تتحدث عنه أى شىء ،و لم تتغير مشاعره و لن تتغير أبدا ,ولم يعطها فرصة للحديث أو مقاطعته و أخبرها أنه عانى الكثير قبلها ،و حين عرفها و تقرب منها أدرك أن القدر يصالحه فلن يتخلى أبدا عنها ولا عن مصالحة القدر ، و هى هدية القدر له , أتت بها الحياة له و ستتركه لتعرف كم سيحافظ

عليها ولو عانى , وهو يقدر و جيدا عطايا الحياة التى لا تأتى إلا قليلا بل نادرا .

ابتسمت له فابتسم كل وجهه و قال لها فقط لا أريد إلا هذه الابتسامة .

صمتا قليلا أو كثيرا فلا وجود للزمن بينهما الآن , عبق الحب يحيط بهما يخدرهما يفصلهما عن كل مادى , عن كل زمن , كانت تنظر إليه ولم تخجل كعادتها فكم أسرها هذا المتمرد عن الوصف , الجامح فى عاطفته , الحانى كأب على وحيدته الجميلة , الراعى لها كساقه الوحيدة , نهض من جلسته أرضا وقف أمامها و مسك بيدها لتقف هى الأخرى تلاشت المسافات بينهم , ضمها له يمرر يده على شعرها بموج من الحنان , يستنشق عبيرها بلهفة , وهى الأخرى تضمه و تقترب منه أكثر , داب يوسف فور شعوره بأنها تريد الاقتراب , همس فى أذنها الصغيرة كلمات لم تتخيل أن تسمعها أبدا .

أكل هذا العشق لى أنا هى التى تسمع هذه الكلمات الساحرة , نزل بشفاه تحت أذنها ما بين الأذن و الكتف و قبلها قبلا رقيقة دافئة , دابت بين ذراعي هذا الآتى من زمن آخر بل و عالم آخر , كان يخفض نفسه قليلا كى يصل لها متحديا فرق طول قامته عنها , وفى انخفاضه كان يبعد قليلا عنها فكانت تضمه هى أكثر و فى ضمتها له أسر له لا محالة , وبعد رحلة من القبل ما بين الرقبة و الوجنة المتوردة وصل لشفاها و كأنه المسافر فى صحراء و كاد الظمأ أن يفتك به فإذا به

يصل لعين ماء عذب نقى , تلاقت شفاة الساحر بمعشوقته و استقر بها ليتغزل فى هاتين البعيدتين المنال و ها هو يصل لهما , لا من وصف لرقته معها لاحتوائه لها لرغبته بها , كم تفضح أنفاسه عشقه لها , و كم هى أسيرة عشقه الآن .

لم يقاوم موجة الرغبة بأن يتوجا العشق بالتوحد الجسدى , و لم تخجل هى منه و هو الذى أزاح عن خجلها قشرته ليرى عاشقة لا تقل رغبة به عنه هو المتيم , فهى معه نورا جديدة، و كأنها تكتشف نفسها معه من جديد و عرفت أنها من الممكن أن تريد رجلا، أن تدوب معه وهى التى كانت تعرف عن نفسها عكس ما هى عليه الآن .

فصلهما سحر المشاعر عن الواقع عن الظروف عن العالم عن حتى الحديث بينهما , هناك ما هو أسمى من الحديث هناك ما هو لا يصفه حديث , هما فى عالمهما الخاص لا يسمع أيا منهم إلا أنفاس الآخر ولا تسمع هى إلا همسه بين الحين والآخر فى أذنها الصغيرة , ما هذا الحلم هل هو حلم .

يلتحم هدوء النفس مع نسمات ربيع دافئة شعر بها فور أن لامس جسدها الناعم , أما هى فلا تريد إلا هذا الدفء هذا الحنان الجارف الهادىء فى آن واحد , كيف استطاع أن يفك شفرة جسدها من أول لمسه له , و كم سحرته هى برقتها و صدق مشاعرها , السحر بينهما سره فى تناغمه فى التحامه الناعم .

هى ناضجة الآن قادرة على أن تفرق بين اشتعال رغبة رجل فقط رغبة جسدية ،و بين تلك الرغبة التى تحركها مشاعر و عشق صادق آتٍ من عمق الروح .

مرت بينهما عشرات الدقائق و كأنها مثل ترفة العين وأقل , لم يسحب قربه منها لم ينزع دفئه لم يتركها فى الفراش لم يكف عن تقبيلها و لم يقل حنانه , وما إن قام من جانبها إلا و بدأ يجمع لها ملابسها لترتديها و لم ينسه العشق خفة ظله و بدأ يمزح معها على ملابسها ،وكم هى صغيرة و كيف ترتديها و تضحك هى من قلبها أمام سيل من المزاح و الكلمات المضحكة التى يطلقها من فمه , ود بكل اللطف ألا يشعرها بأى خجل , ترتدى ثيابها بمساعدته و بعد أن انتهت يطلب منها أن تدير ظهرها لكى يرتدى هو ملابسه لأنه يخجل كثيرا , تنفجر فى ضحكاتها و يقبلها كطفل يلهو مع أمه , يرتدى ملابسه و يجلس بجانبها على حافة السرير ملاصقا لها و يلفها بذراعه و يقبل يدها و رأسها و يقول لها فى نبرة جادة و هادئة إن اليوم هو أسعد يوم فى عمره على الإطلاق و الأروع هو كسر حاجز الخجل بينهما , و يهمس لها أنه تعمد تقبيل كل شىء فيها حتى لا يجعل جزءا منها غريبا عنه أبدا , و يعترف لها أنه لن يصف مشاعره وما حدث له عندما لامس جسدها فهو سيحتفظ بشعوره داخله لأن ما شعر به لا يوصفه حديث ولا كلمات , فلا يعرف شعوره هذا إلا روحه و أنفاسه و دقات قلبه , تبتسم له و تقبله هى هذه المرة فيضمها بقوة و يفلتها و ينظر فى عينيها و يطلب منها أن تقطع على نفسها عهدا ووعدا بألا تحرمه منها ،ولا تبعد عنه أبدا مهما حدث

فهو بعد هذا اليوم لن يسير فى هذه الدنيا بدونها لا يجرؤ ولن يقدر فهو أسيرها الآن وهى طفلته الوحيدة و الماء له و الأنفاس , كالنهر الظمئ و نزول السيل هكذا كملا التحامهما .

هكذا قال لها , ومن من نساء الأرض لا تأسرها مثل هذه الكلمات , هو أسرها بكونه أسيرها .

ينهضان للخروج سويا لا يشعران بوقع خطواتهما على الأرض .

هل هم شخصان يسيران سويا ؟ لا أظن ..

هل هم نصفان لشىء واحد ؟ لا أظن أيضا ..

هم واحد فى جسدين , الروح واحدة صارت و لكن الهيئة جسدان , هكذا فعل الحب بهم , وهل من يقدر على فعلته إلا هو .

غادرا الفندق مبتسمين لكل الأشخاص حتى مبتسمين للأشياء للهواء , فقد بدلهم الحب , سحرهم , لكن يا ترى لماذا هذا الساحر بخيل شحيح لا يعم على كل البشر , هل هو ينتقى أبناءه لينفخ فيهم من روحه فينعموا به , أم أنه لن يأتى إلا لمن يقتل الأرض بحثا عنه , أم أنه و كما يقال لا يأتى إلا لمن لا يبحث عنه , أيا كان الصحيح فى كل هذا فهو أروع من أن تصفه كلمات , وهو نفخ من روحه فى نورا و يوسف وقد كان .

لم يقصدا مكان بعينه بل ظلا يتجولان و يلعبان لعبة التسارع فى الخطوات التى كانت علمتها له نورا من قبل , ولا يتوقف صوت ضحكاتهم , إلى أن انحرف يوسف بها جاذبا لها على جانب الطريق قاصدا مكان هادىء قليل الإضاءة و له بعض الطاولات فى الخارج والأخرى داخله , توجها إليه ومازالا ممسكين ببعضهما متشابكي الأيدى , سألهم النادل وهو فى استقبالهم هل يريدون مكان للمدخنين أم لا , و نطقا سويا "لا" فضحك النادل وهم أيضا , اصطحبهم لإحدى الأركان الهادئة فى الداخل و أعطاهم قائمة المشروبات والطعام , و استقرا الاثنان على طلب نوع من الكوكتيل الاستوائى نفسه و على السرعة كان قد أحضر لهم ما طلباه .

يصمت الاثنان و ينظران لبعضهما و يبتسمان و يعاودان النطق فى نفس اللحظة " عاوز تقول إيه " " عاوزة تقولى إيه "

و يضحكان لتكرار الموقف , حتى الكلمات تتوحد على لسانهما وينطقها الفم فى نفس اللحظة .

فتبتسم نورا و تقول " يوسف أنا بحبك أوى " و يرد هو فى سرعة " لا يا نورا أنتى كدابة ! أنت بتموتى عليا "

و يعاودان الضحك ثانية , وما إن يأتى صمت قصير إلا و يطرده ضحكهم ليعود الضحك ثانية لشفاهم .

لكن يوسف كان يريد الحديث بالفعل فى شىء هام ودون مزح , فبابتسامته استأذن من نورا أنه يريد أن يحدثها فى أمور كثيرة و هامة كان يؤجل الحديث فيها معها إلى أن يلتقيا و يتحدثا وجها لوجه و ليس على الهاتف أو فى رسائل كما تعودا , تصغى له ليس بأذنها فقط وإنما بكل حواسها و لا تقاطعه ليستمر.

بدأ حديثه بأنه كان متزوجا من قبل من امرأة كان يخيل له أنها حبه الوحيد والأقوى و كان يحبها قبل الزواج , شعرت نورا وهو يتحدث عن الموضوع أن صوته ليس به أى تأثر أو حزن مثلا مما أراحها فقد استشفت أن ما يحدثها عنه انتهى إلى غير رجعة

أكمل و شرح لها أنهما كانا ينفصلان و يرجعان لبعضهما فى الأسبوع بل فى اليوم أكثر من مرة , وهنا قاطعته نورا و فهم هو من عينيها أنها تريد أن تسأله عن الأسباب , كان رده أنه لا يحملها هى المسئولية وحدها على أنها هى من أفسدت ودمرت هذا الزواج , لكن سأكون صريحا معك أكثر و أعترف أنى مخطىء أيضا و أخطائى كثيرة , أنا كنت أريد زوجتى أن تظل حبيبتى حتى بعد الزواج , كنت أريدها حنونة كحنان أمى على , كنت أدمن عليها يوما بعد يوم , كنت أريد أن أعطيها حبا كل يوم أكثر من ذى قبل , أما هى كانت تريد حرية واستقلال من أسرتها ،و لم تجد طريقة لما تريد إلا بالزواج و الخروج من دائرة العائلة , لم تتحمل إدمانى عليها لم تتحمل عنفوان حبى لها كانت كالطير لا يريد إلا التحليق عاليا , كل هذا كان يمر و ينتهى و نبدأ من جديد و من شدة

حبى لا أتأثر من داخلى , إلى أن علمت أنها أجهضت نفسها و أكثر من مرة وأنا الذى كنت متشوقا لطفل منها يحمل صفاتنا أنا و هى نرى فيه حبنا نسعد به و يجلب لنا حياة جديده بقدومه , أمى كم فتحت هذا الموضوع و كانت هى تضحك و لم ألمح فى عينيها أبدا أنها تخفى شيئا أو أنها من الممكن أن تكون قد حملت منى و أخفت على , عندما علمت شعرت و كأنى أعيش مع امرأة لم أعرفها , لهذه الدرجة قادرة على الكذب و التلاعب , نتقاسم الفراش و كل ما تعيشه معى كذب , وأى كذب ! كذب لا يغتفر يا نورا , أمى عندما علمت أسمتها قاتلة لم يذهب ذهنى إلى أنها كذلك فعلا إلا عندما لفظت أمى هذه الكلمة , كم كان وقع الكلمة كالصاعقة على و عندما تأملت كلمة أمى وجدت أنها هى بالفعل الكلمة المناسبة التى يمكن أن تصفها , فعلا كارلا قاتلة , قتلت ثلاثة من أبنائى أو بناتى لا أعلم , كل ما أيقنه أن المرأة تتمنى الأنجاب ممن تحب و حتى لو تريد التأجيل فلا مانع ولكن أنا ما يقتلنى هو الكذب يا نورا , يشلنى عن التعامل و يصدمنى و هى تعمدت الكذب على و دون أسباب .

"لو كانت حتى تركت حملا واحدا منهم لكان عندى صبى أو صبية الآن بعمر عشر سنين , أنا فى هالسنة بكمل الأربعين , وكنت متزوج كارلا من و أنا ثلاثين سنة , يعنى كان ابنى أو ابنتى ماشالله هتكون أكبر من أحمد , لكن الحمد الله ربنا عوضنى بيكى يا نورا و بأحمد و الحلوة ياسمين , و الحمد الله صار عندى بنت و صبى مرة واحدة "

لم يكن هذا مجرد كلام من رجل لامرأة يريد الزواج منها فيجاملها بتقبله لوضع كونها أم لأولاد من رجل غيره , فيظهر لها كم هو محب لأبنائها كى تطمئن و تقبل الزواج منه , لكنه كان صادقا فى كل كلمة قالها لأن الحنان والحب لا يمكن تمثيلهما و لن يكذبا طويلا , ولم يظهرا إلا من محب و حانٍ حقيقى .

تحدث يوسف لنورا دون أن يبخل عنها بأى تفاصيل كان يتحدث لأنه يريدها أن تعرف عنه كل شىء ،وليس لمجرد شرح ظروف معينة كان قد مر بها حتى أنه لم يخف عنها أن كارلا حاولت من أقل من عامين أن تعود له , وكم من أصدقاء حاولوا مساعدتها فى العودة له لكنه أغلق هذا الباب نهائيا و لم يحاول حتى مجرد التفكير فيه , وكانت صراحته لأقصى درجة حتى أنه صرح لها أنه ظل يتابع أخبار كارلا لعدة سنوات بعد انفصاله عنها ،و كان من وقت لآخر يعصف به الحنين و يفكر فى العودة و بداية جديدة , إلى أن و صله خبر زواجها من مصور فرنسى و السفر و الإقامة معه فى فرنسا ،وكان هذا الخبر هو آخر ما سمعه عنها بإرادته , وكل ما جاء من أخبار بعد ذلك كانت محاولات منها هى لتوقظ حب فى داخله لأن زواجها الثانى فشل هو الآخر.

أنهى يوسف حديثه عن كل ماضيه الذى كانت تجهله نورا ،و كان قد أجابها على كل سؤال دون أن تسأله فأغرقها تفاصيلا و شرحا، و بمنتهى الهدوء قال لها إنه سمع كل ما دار بينها و بين زوجها السابق

كما أوضح لها من قبل ،و هو لا يحتاج منها شرح لأى شىء لأنه فهم كل الوضع , وكان يقصد بذلك رفع الحرج عنها فى حديث هو يعرف جيدا أنه سيؤلمها , و لكن أراد شيئا واحد منها أن تسمعه إياه وهو هل هى تريد الزواج منه و مشاركته حياته لنهايتها ؟ و بدأ هو بالإجابة على سؤاله و أخبرها أنه يريدها زوجة اليوم قبل غدا , و زيارته لمصر أكدت كل مشاعره تجاهها بعد أن عرفها و عرفته عن قرب , واقترب منها و ابتسم لها ويده فى يدها و أكد لها أن طلبه للزواج منها أصبح ملح أكثر من أى وقت منذ أن تلاشت الحواجز و الحرج بينهم من ساعات قليلة اليوم .

تبتسم نورا و تحمر خجلا من حديثه , أما هو فلم يعط للصمت فرصة الدخول و ألح فى سؤاله , هل تتزوجين هذا المجنون بك ؟ ترد فى مكر أعدك سأفكر فى الأمر !

انفجر ضاحكا و قال لها ..

" خلاص حبيبتى أصلا عيونك و حضنك ليا فضحوكى , أنت بتموتى فيا يا روحى , و راح أقولك مثل ما بقول لامى , أنا أصلا بنحب "

ضحكات من القلب تصالح قلوبهما التى ذاقت الكثير من العذاب , يهدآن من الضحك و يعاود الهدوء بينهما و يسألها كيف ستنهين مسألة زواجك , أنا أعرف أنها منتهية لكن أقصد الإجراءات القانونية , و هل تحتاجين مساعدتى فى اختيار محامى ؟ أرجوكى أنا لا أريد

التدخل و أثق أنك قوية و قادرة على إنهاء كل شيء لكن في نفس الوقت لا أريدك أن تخجلي مني في طلب أي شيء أو أي مساعدة , و في أي وقت حتى بعد عودتي بيروت ..

" أنا من اليوم يا نورا خلاص راح أتعامل معك و كأنك جزء مني و أنا جزء منك , و قديش بتمنى يكون شعوري هو نفس شعورك "

قالت نورا : أنت الرائع دوما لم تترك لي شيئا لأقوله ،و كأنك تشعر بي و تفهم ما يدور برأسي ؛ فتحدثني بحديثي دون أن أنطق منه شيئا , صمت هو قليلا و كأنه يفكر في شيء , شعرت نورا و خشيت لو أنه يفكر في كونها مازالت متزوجة و إن لم يكن ذلك إلا على الأوراق , كانت تتفهم كونه يمكن أن يخفي داخله شيئا من الغضب تجاه هذه النقطة لكنها لو كانت مكانه لفكرت مثله، و يكفي أنه حتى لا يظهر ضيقه لها و لا حتى بالتلميح بل بالعكس يسانده و يحتويها .

لكن ترى هل ما تعتقده نورا هو ما يدور في رأس يوسف فعلا , أم أنه أرقى من ذلك التفكير و ما يشغله هو شيء آخر.

يقطع صمته فجأة ..

" نورا بدي أسألك عن شيء ".

و لم ينتظر رد منها و بدأ بسؤاله ..

" أنا اليوم لاحظت شيئا و بدى أسألك عنه , ليش اليوم بالنهار و نحنا عاليخت ضلت مها عينيها عالسلسة يلى أنا لابسها تحدق فيها و فيا و صارت نظرات غريبة , كمان و أنا معك بالغرفة لاحظت فى لحظة نفس النظرة فى عيونك و أنا ما فهمت شىء , بس بحب أقولك و حتى من غير ما تسألى هيدى السلسة كتير غالية عليا و بحب ألبسها و ما بتركها من صدرى و هى هدية من أمى و مالهاش أى صلة بأى شخص غيرى أنا و أمى , شوفى يا روحى السلسة بالأصل كانت لأمى حتى شوفى القفل تبعها محفور عليه حرف M و هو أول حرف من اسم أمى ماجدة , و أما هالصليب ماشالله كان لبيى ،و كانت أمى عاملتو ليه خصوصى فى عيد زواجهما، و بالخلفية شوفى راح تلاقى أول حرف لأمى M و أول حرف لبيى G جورج , و والله ما خلعوا بيى من صدره إلا لما يعطيكى العمر توفى ،وأمى هى يلى بنفسها خلعتها عنو و لبستنى ياها ،و أمنتنى ماأخلعها أبدا , فهمتى يا روح يوسف القصة و عرفتى هادول حروف مين و إنشالله لو الله عطانى وياكى ولد راح تكون هالسلسلة الو بعدى و هكذا هى موروثة لحتى تصير أثرية"

لا يكف عن المزاح ولو تحدث حديثا جادا لابد أن ينهيه بلمسته الساخرة , وهذا هو .

كان قد قص عليها قصة السلسة بمنتهى العفوية مما أدهش نورا أن هذا هو ما فهمه من نظرة مها و هى أيضا , ظلت صامته لا تعرف ردا

تقوله له على ما حدثها عنه , و هو الذى قص عليها قصة أبعد ما يمكن عما تفكر به , فهل ترد و تشرح له , أم تصمت .

نهض و لف حول الطاولة و جلس بجانبها و طلب منها أن تصارحه فيما تفكر و لماذا هى صامتة , طالبا منها أن تكون القاعدة بينهما فى العلاقة هى البوح والسؤال و مناقشة أى شىء , وعن نفسه وعدها بأنه أبدا لن يخفى عنها شيئا .

كلما زادت رقته و ظهر مدى تحضره كلما لم تعرف هى من أين تبدأ و ماذا تقول له , هذا الطيب الحانى الصريح صراحة الطفل بل طفل فعلا فى عناقه و حبه و ضحكه معها , و أخيرا نطقت نورا ..

" يوسف حبيبى أنت فعلا معاك حق إن أنا و كمان مها لفت نظرنا السلسلة لكن مش زى ما أنت متصور , يوسف أنت عارف إن أنا مسلمة ؟"

هكذا قذفت سؤالها , صمت و كان بالفعل لم يمر أبدا هذا السؤال على عقله من قبل ليس لشىء و إنما لأنه أحبها دون تفاصيل حتى و أنه فقط اليوم علم و بالصدفة أن زواجها مازال لم ينته بالطلاق الرسمى , لكن الطلاق و سيحدث عاجلا أم آجلا و لن يغير شيئا من حبه لها , أما مسألة الديانة فالوضع مختلف بل معقد هو يعلم جيدا أن الدين الإسلامى لا يسمح للمرأة المسلمة بالزواج من رجل يتبع ديانة أخرى على عكس الرجل المسلم يمكنه الزواج ممن يريد مهما

كانت ديانتها و معتقدها , لكن ما هذا و كيف حدث هو لا يلوم نفسه لأنه أحبها و حتى لو علم من قبل بديانتها ماذا كان فاعلا أكان سيمنع نفسه من عشق امرأة فى جمالها و عقلها و تميزها لكونها تعتنق ديانة معينه تختلف عنه , لكن هو كان يفكر أعمق من ذلك , هو يفكر فى هل الدين يفرق بين البشر دون النظر لنياتهم .. لداخلهم , و ماذا عن زوجها المهاجر ألم يكن على نفس الديانة هل أحبها هل أسعدها هل عمل بتعاليم ما يعتنقه من دين , و هى هل قبلت عيوبه و أحبته و استمرت معه فقط لكونه من نفس الديانه .

هل فعلنا كل ما أمرتنا به الأديان من تحاب و إخاء و رحمة و تطبيق للعدل و مساواة , هل و صلنا لعمق الدين و باقى الحفاظ على القشرة والظاهر.

هل أمرنى الله برفع اسمه عند القتل عند إزهاق روح مثلى و جسد مثل جسدى فقط لاختلافه معى مثلما حدث فى بلاد الثورات العربية فى السنين الأخيرة , هل هذا ما رفع المسيح من أجله وما جاء به خاتم الرسل .

ماذا عن الدين الإنسانى , ماذا عن قانون الله و قدره أليس هو من جمع هذين النصفين , لا يقرب الأرواح و يؤلف القلوب إلا الله , رب موسى و عيسى و محمد خالق الكون و منزل الأديان , الرحيم العادل النور , أليس الحب هو نور يقذفه الله فى قلب من يحب .

ما هذه الإجراءات و المذاهب التى نتبعها فى الزواج و نتزوج بها وعليها , هل كان هذا هو الغرض من الزواج , أين العمق فى فكرة الزواج نفسها و هى الرباط المقدس بين روحين يتحدان و ينسجمان ليكونا روحا واحدة يتقاسمها جسدان , يتقاسمان فرح الدنيا و شقاءها يرغبان فى العيش معا فقط لأنهم يريدون ذلك لا لأنهم مكبلان بغلال تمنعهما من تغيير مسار الحياة حتى لو استحالت العيشة بينهما , النقل دون إعمال العقل هو الشقاء بذاته .

كان يعلم يوسف جيدا أن ما يدور فى رأسه هو الصواب والمقنع , ولكن يعلم أكثر أنه لو تفوه به و أخرج ما يدور فى رأسه على لسانه و ترجم ما يشعر به فى كلمات ربما لانتشرت قصته مع هذه المسكينه و فوجئ بالداعية الفلانى و الشيخ العلانى و ما أكثرهم يحل دمه و دمها , و يتباهى الكل فى إضافة التوابل للقصة حتى ولو لم يعلم عنها شيئا ،و ربما أطلقوا عليه جاسوس جاء لتجنيدها ، أو ربما هو وزوجها المهاجر لأمريكا يعملان لحساب البيت الأبيض , و يصبح يوسف العاشق لمصر القادم للتنزهة فى شرم والزواج من معشوقته أحد الأصابع الخفية التى دخلت مصر للعبث بها , و تنفيذ الأجندات .

ألف ماذا تلف فى رأسه دائرة كاملة دون جدوى من إجابة على ماذا واحدة منهم , و ألف هل تصفعه دون رحمة , قلبه يكاد يرفض العمل لمجرد أن عقله من الممكن مجرد الممكن أن يطرح سؤالا ليغلق هذه القصة و ينهي ما يدور فى رأسه و هو ماذا لو ترك يوسف نورا ؟ .

أما هى فيعتصرها الألم منذ أن فجرت سؤالها عليه ،و هو صامت ناظر فى الهواء لم يتلفظ بحرف واحد , اقتربت منه قليلا و حدثته بنبرة صوت هادئة تليق بهذا الصمت .

" يوسف أنت ليه ساكت كل الوقت ده " .

خرج صوته مخنوقا ..

" تعرفى أنا و لا مرة فكرت أن أسألك عن ديانتك , و ولا مرة فكرت و أنا عم انجرف ناحيتك و أتعلق بيكى راح تكون إيه هى ديانتك ولا مرة فكرت غير فيكى فى صفاتك فى تميزك فى روحك الحلوة و قديش أنت صادقة وحنونة "

منذ متى الحب على أساس الديانات , هل أسير باحثة عما سيكمل روحى و ينسجم معها و عندما أجده يجب عليا أولا أن أسأله عن دينه , هل كان هذا هو كل الغرض من الديانات .

آسفة يا مجتمعى يا من لا تريد أن تفرض الشرف إلا على المرأة يا من هو مقياس الخطأ عندك يقف على مركز المخطئ يا من جعلت من الحجاب زيا رسميا يا من تملك ترسانة العادات و التقاليد و يملأ التحرش كل شبر فى أرضك , آسفة يا مجتمع عليك مما وصلت إليه من سطحية من اضطهاد لكل ما هو جديد فقط لراحة العناء من التفكير فيه , يا من تسير على الموروث دون أدنى تفكير.

سامحني يا الله يا من و ضعت حب هذا الرجل فى قلبى،يا من خلقتنى أنثى ،يا من كرمتنى و أمرت الرجال بالعدل معى، يا من أوصى محمد نبيك رجال المسلمين بالخير معى , لن أقدر على التخلى عن حبى عن رجل كنت أحسب أنه لم يخلق بعد ، عن أمل دب الروح فى قلبى عن نور جاء لى فى عتمة ظلام عن نسيم و ظل فى عناء حر شديد , لقد تخليت عن نفسى مرارا لكن كيف لى أن أتخلى عن روح بريئة أحبتنى بكل صدق .

قبضت نورا على يد يوسف بيدها الصغيرة البيضاء الناعمة وكم كانت باردة , وهى تعرف جيدا كل ما يدور فى رأسه وودت لو تنقل اطمئنانها الذى تشعر به بعد ما حدثت نفسها و كم هدأها قلبها أكثر عندما قبضت على يده و بدا لها ،و كأنه ينتظر لمسة منها ولو بالخطأ فأعطته هى الجرعة الأكبر بقبضتها على يده بقوة و تشبثت به , وما منه إلا أطبق بيديه الاثنتين علي يدها الصغيرة محدقا في عينيها مقتربا منها هامسا لها بصوت مخنوق " أنا حبيتك و بس حبيت روحك و عيونك ووجهك وكلك و اليوم خلاص والله حاسس مثل ما خبرتك خلاص أنت جزء منى , أنا ما صدقت لقيتك , و ما راح أقول غير إنى زى ما أنت شفتينى هو ده أنا هو ده يوسف لا ديانة ولا شيء هيغيرنى و لا أنا أصلا قصدت أخبى "

كان حديثه من فمه لقلبها مباشرة لا من وسيط بينهما , الاطمئنان لا يأتى بكثرة الحديث , لكن هى طمأنته بموجة صادرة منها لداخله , بها

كل الحنان و الود و التفاؤل و الإصرار و لكنه ما زال صامتا , عاد من شروده لكن هادئا صامتا مازال .

كانت نورا تمده بالاطمئنان و هى تتأرجح بين كلماتها التى تصدر عنها و بين ما تربت عليه و آلفه مجتمعها , هى تطمئنه و فى نفس الوقت يملأها الخوف و عدم الاقتناع ولكن تشعر بشىء غريب , و كأنها دخلت فى مياه لا يمكنها الابحار ولا يمكنها الرجوع .

استمرت فى طمانتها له و أخبرته أنها عندما تعود للقاهرة حتما ستحتاج لمحامى بخصوص مسألة إنهاء زواجها , و أيضا لسؤاله فى مسألة زواجها بيوسف , وضحت له أن حالتهم حالة عادية وواردة أكيد و خاصة فى الغرب مثلا , فكيف يتزوجون هناك أكيد تبعا للزواج المدنى .

ابتسم و كأنه سعد فقط لأنه يراها تطمئنه و تحدثه عن زواجهما , إذن فهى تريده و تفكر و تحتال أيضا و دون خجل , و هذا يرضيه و يكفيه , فكم يكفيه أنها تريده .

بقدر ما جاء هذا اليوم بأكثر من مفاجأة من العيار الثقيل لكل منهما لكن أيضا كان يوم إزاحة ستار الخجل بينهما .

عادا سويا , أوصلها إلى غرفتها و دعها عند الباب ولكنه لم يبادر بتقبيلها , لكنها لم تخطئ نظرته لها , فاقتربت منه و شبت لتنال من

رأسه لتقبله فإذا به يتشبث بها وكأنه كان ليفعلها قبلها لكنه أحب أن يرى هل تتقرب هى أم لا تعنيها تفاصيل صغيرة كهذه .

ربما التفاصيل الصغيرة لا تأتى إلا من حب كبير , تصنع التفاصيل الصغيرة أبراج عملاقة , فلتكن تفاصيل المحبين تشيدا لبرج حب لا ينتهى , عكس تفاصيل الإهمال الصغيرة تتراكم لتصبح موجا عاتيا يمحو أثر أعظم حب .

صار بينهما لغة غير منطوقة ولا من كلمات القدرة على وصفها , و كأن بين أعينهما و أجسادهماإشارات من مرسل لمستقبل لا يخطئ الموجة أبدا , لم تتركه و تدخل لغرفتها إلا و رأت فى عينيه لمعة رضا و اطمئنان.

دخلت نورا لتجد مها لازالت مستيقظة لم تنم تنتظرها , رحبت مها بها و ابتسمت عندما رأتها أفضل حالا مما كانت عليه بعد مكالمة هشام , بدلت نورا ثيابها و أحضرت مها الشاى الأخضر فهم يحبان احتسائه ليلا مع أعشاب الكاموميل أو بعض أوراق النعناع ليبعث على منحهما نوما هادئا , دخلا التراس لتناول الشاى و الحديث بعيدا عن الغرفة كى لا يوقظا الطفلان .

نظرت نورا على باب نافذة غرفة يوسف لترى ما إذا كان مفتوحا أم لا , فوجدت النافذة مغلقة لكنه جالس خلف الزجاج و كأنه يتابع التلفاز جالسا على كرسى و يمد قدميه على كرسى أمامه آخر , هكذا رأت ظله من خلف الزجاج و الستائر.

جلست نورا و بدأت حديثها لمها التى لم تقاطعها بسؤال واحد لا لشىء قد تغير بمها ،وإنما لأنها تدرك جيدا أن صديقتها و شقيقتها الصغرى متوترة كفاية ؛فتركتها لتقول ما تريد و تحذف ما تريد

" أنا بحبه .. أنا حبيته أوى يا مها , و الأكتر من الحب أنه علقنى به , أنا اتعلقت به و تعودت عليه "

هكذا كانت جملة من جمل نورا لمها محاولة أن تصف لها شيئا من داخلها , ما أقف أنا عنده هو التعود , أتدرون أن الأصعب من الحب هو التعود , عندما نتعود يصعب حتى علينا تذكر ما كنا عليه قبل هذا التعود , فالتعود كالإدمان ولكنه إدمان من نوع مختلف , إدمان على شخص على روح و حديث و تصرفات , وما أصعبه الإدمان عامة و هذا النوع خاصة .

لاحظ يوسف اليوم نظرنا للسلسلة التى يرتديها و سألنى عن سبب نظرنا لها , وحكى لى قصتها و لم يلفت نظره أبدا مسألة الدين، و أنا من فتحت معه الحديث فى هذا الأمر, يوسف مسيحى الديانة يا مها , و لكن أنا طمأنته و لمحت فى عينيه بل وتأكدت أنه هو أيضا يريدنى و يقبل وضعى فهو سمع حديثى اليوم ،و اتضحت له الأمور أنى مازلت عالقة فى زواج منتهٍ لا محالة , و بالرغم من كل هذا لم يتغير من ناحيتى ولا حتى كان له رد فعل يسبب إحراجا لى فهو راقٍ أكثر مما توقعت ،و يحبنى بصدق و هو شعور لأول مرة أشعر به , كم هو ساحر

هذا الشعور , أن ترى حبا صادقا و أن تسمع حديثا حنونا فى عين شخص نادر الوجود مثل يوسف .

ابتسمت مها قائلة :

"إنه أيضا واضح عليه أنه يعشقك يا نورا و أنه صادق أيضا , حيث أنه من الصعب على صاحب عيون و ابتسامة طفل ألا يكون صادقا ", لكن ترى مها خوف عميق فى عيون نورا و رجفة انتقلت منها لمها من خلال قناة ممتدة بينهما نقية لا يحكمها حديث بينهما , فمن دون حديث تشعر كل واحدة منهم بما يدور فى ذهن الأخرى .

تسألها مها لما كل هذا الخوف , كان خوف نورا و رجفة داخلها لمجرد تخيلها لفكرة أنها من الممكن أن تفقد هذا الآتى بالفرح معه , و ألا يكون ما تعيشه الآن ما هو إلا استراحة قصيرة فى الطريق و بعدها ستكمل السير فى نفس الاتجاه على نفس الأرض الساخنة حافية القدمين و حدها لا شىء لا جدران حتى لتتكئ عليها .

ضمتها شقيقتها الكبرى شقيقتها الروحية , و طمأنتها ووعدتها أن غدا سيكون أسعد , إن غدا لن يكون كالأمس , و لو كان الأمس دائم لما عشنا اليوم , ولو دام اليوم لن يأتي غدا , الحزن لن يبقى أبدا إلا لو نشدناه , ولا من أحد ينشده أبدا , فهو وحيد دائما ولو مر سيمر كضيف ثقيل و يمضى دون رجعة , كان حديث مها لنورا كالزيت الدافئ على البشرة الجافة الملتهبة , تنزل قطراته عليها فتهدئها و تغذى

شقوقها فتعيد لها الحياة و ربما أفضل مما كانت عليه , كان الساحر فى حديث مها أنها وكأنها تقرأ البعيد ،و تعرف ما سوف يحدث بل وكأنها تتحكم فى الآتى .

كم نعشق الحديث عن المجهول , كم يسحرنا من يحدثنا عن القادم , لكن ترى هل من يقرأ لنا القادم يعرفه , أم أنه يستمد قوة معرفته من تشبثنا بأمل أن القادم أجمل وكم ننشد و نتمنى قدومه , أظن لو أننا لا نكترث للقادم لما استطاع أبرع البارعين قراءته لنا , فالقوة فينا نحن لا فى من يقرؤه لنا .

أطفأ يوسف ضوء الغرفة و استلقى على السرير لكنه لا يستطيع النوم , كيف يغفو و رائحة نورا تعانقه , وكأن وسائده احتفظت بها له , ابتسم و صفى ذهنه من كل شىء إلا فقط مما شهد عليه هذا السرير من حب لا يعرف إلا الصدق ولا تحكمه إلا العاطفة , تابع فى ذهنه كل ما مر بينهما هنا على هذا الشاهد على حبه لها , ولكن بطريقة مختلفة فهو الآن يتحكم بذاكرته فيقف عند مشهد معين عندما يريد و يكرر آخر و يطيل فى ثالث ولكن لا من شىء يحذفه أبدا و يبتسم و يعانق الذكرى و يستنشق رائحتها و تغمره لهفه لا تنتهى .

نورا حدثت مها فى كل شىء إلا ما حدث بينها و بين يوسف فى غرفته , كانت تود البوح لها لتشاركها فرحتها , لكن لا تعرف لماذا يقف الكلام على لسانها و يأبى البوح , وكأن ثمة بعض الفرح نحتفظ به فقط لذاكرتنا .

لم يتبق ليوسف فى مصر سوى ثلاثة أيام ولابد أن يعود لبيروت , هو يتابع كل تفاصيل العمل يوميا مع أنور و ريم ولكن هناك ارتباطات لابد من الحضور بنفسه فيها , هو عائد إلى لبنان لكن لا يريد أن يفكر فى العودة الآن و كلما تذكر أن ما تبقى هو ساعات تعكر مزاجه .

لم يكن تعلقه بنورا فقط كامرأة أحبها و أتى لزيارتها و سيتعبه الفراق , لا فالأمر معه مختلف هو بالطبع تعلق بها و سيفتقدها بعدما أدمن وجودها يوميا و الحديث معها والنظر لها و حتى المزاح معها , لكنه تعلق بهم جميعا فكيف له البعد عن أبنائه و قد تعود عليهم وهم أيضا حتى مها كم أحبها حب الأخت الكبرى لزوجته المستقبلية , حتى المدينة التى كان يجىء لها للاستمتاع أحس و كأنها المرة الأولى التى يكتشف فيها شرم مع تلك الناعمة مثلما كان يصفها لنفسه بين نفسه و يبتسم , فهو العاشق والعاشق من يبتسم وحيدا دون سبب , فالسبب فقط فى ذاكرته , و يبخل أن يقوله بلسانه فتسمعه أذنه .

لكنه لا يريد أن يفكر فى عودته إلى لبنان و افتقاده لجزء منه فى مصر قدر ما يريد التفكير فى ما قضاه من وقت مر و كأنه حلم جميل منذ قدومه لمصر , و أيضا التفكير فى كيف سيمضى ما تبقى من ساعات معهم .

بقدر سعادة من فى مصر و شرم خاصة , كان الحزن يملأ قلب هشام و فاض و عم المنزل الذى غضب على الشمس فمنع تسلل شعاعها داخله و أغلق نوافذه و ستائره فى و جه نورها و دفئها , لا يريد هشام

خسارة عمله و لا ما أسسه من عمل خاص و لا علاقاته و لا منزله و ما شاهده هذا المنزل من حفلات و ما سمعه من ضحكات , هو يترك الحزن يتغلغل فى منزله الجميل لكن رافضا لاستمرار هذا الحزن رافضا التسليم له , كل ما يسيطر عليه هى فكرة الاحتفاظ بكل شىء , عدم خسارة أى شىء ؛ فقط لأنه لايريد , يريد هشام المصرى الأصل المنحدر من عائلة طيبة مسالمة كريمة ،لكن لا يريد أن يكون كرجالها العائدين من العمل بأكياس الفاكهه الذاهبين للمسجد كل جمعة للصلاة المجتمعين مع كل العائلة فى المناسبات المرتبطين بكلمة لا تخلو من بيت واحد فيهم وهى الأصول والعادات , كم من مرة تقال هذه الكلمات فى منازلهم على مدار اليوم , و يريد هشام الناجح فى الغرب المتغلب على كل مشاكل أى مهاجر المنخرط فى المجتمع الغربى , لكن لماذا مع فخره بكل ما حققه فى الخارج كان دائما داخله صوت يتمنى لو أن ما وصل إليه كان فى بلده مصر لكانت سعادته أكبر , ترى لأن المجتمع الأمريكى الضخم لا يوجد سقف فيه للنجاح ؛فكلما حققت نجاحات كان هناك من يسبقك , فمهما فعلت فأنت محدود , أم أنه حنين لبلادنا التى لا تنزعها الهجرة من داخلنا فتظل فى مكان مظلم دافئ فى عمق داخلنا برائحتها بحديث أهلها بضوضاء شوارعها و تكدس مرورها , فننقم على كل هذا ونحن فى داخله وجزء منه لكننا نشتاقه فور أن نخرج من دائرته .

أكثر ما يؤلمه الآن هو صوت نورا وهى تصرح له بوجود رجل آخر فى حياتها , ألم يعرفه من قبل , و لكن كيف لا يعرفه و قد عاش هذا من قبل !!

نعم بالطبع عاشه من قبل و مرات عديدة , لكن مع اختلاف الأدوار , من قبل كان هو من يعرف امرأة أخرى و تعلم أو تشعر نورا , أما الآن فلقد تبادل الدور معها , و شتان ما بين الدورين , فأدرك الآن و الآن فقط أنه كم هو مؤلم أن تكون فى خانة المفعول به لا الفاعل .

أدرك الآن أن للشعلة يد و رأس , و نادرا أن يتبادل من يمسك باليد مع من يحترق بالرأس , لكنها تحدث , و ها هو تارك لليد التى أمسك بها دوما محترقا بالرأس المشتعلة .

داخله ثائر عليها و مشتاق لها متلهف فى نفس الوقت , هو نفسه يتعجب من نفسه , هل أحبها فجأة ؟ أم أنه كان يحبها بالفعل و مطمئن لوجودها فلا يبذل أى مجهود للحفاظ عليها , وكيف نبذل مجهودا للحفاظ على الموجود !!

أم أنه حب تملك و رفض للهزيمة , فيمكن أن يتركها هو لا أن تطلب هى ذلك , أهى عقلية الشرقى المتعالية على رفض امرأة له !

هو الوحيد القادر على تفسير داخله , لكنه عاجز عن تتبع خيط فكرة واحدة و استنتاج حل منها و نقطة نتيجة نهائية , فهو يدور فى دوائر من

الأفكار المتشعبه دون أن يصل إلى شيء و هو ما يرهقه ساعة بعد ساعة .

الشيء الوحيد المعروف والثابت لديه هو انتظار العابد شريكه ليسلمه المكتب و يحصل على أجازة لمدة ٦ أسابيع على الأكثر ليسافر لمصر , و ينتهى السيناريو به عند وصوله مصر و كل ما هو بعد و صوله مجرد غيوم لا يتضح له منها شيء .

تدق الباب بالرغم من احتفاظها بنسختها من المفاتيح , لكنهاتشعر أنها غريبة عنه الآن , بالرغم من أنها الآن فى أكثر وقت تشعر بحب تجاهه , تستعرض كل ما مرت به معه طوال مدة علاقتهما وهى عام كامل و هو فى حد ذاته إنجاز يحسب لها للاحتفاظ برجل غريب الأطوار مثله , مع أنها على يقين أنها لم تخطئ معه فى شيء و لم تكن هى سبب نهاية العلاقة معه إلا أن الندم يعتصرها ولا تعرف لماذا لكنها تلوم نفسها و تختلق أحاديث و أشياء ربما لو كانت فعلتها لنالت قلب رجل لا يعطى قلبه لأحد ولا يعترف بفكرة الشريك الواحد !!

لم يكن بالداخل , حيث أنها دقت مرات عديدة ولم يفتح لها , لكنها بشفافية عاشق لم تقلق ،و كانت تشعر أنه قادم فانتظرته فى سيارتها خارجا , مر من الوقت ما مر عليها و هى تنتظره و تعيد ذكرياتها معه و كاساحر بارع حولت كل ذكرياتها معه إلى بريق لامع من شدة جمالها , لم تدرك كم مر من الوقت القليل منه أم الكثير , فالوقت لدى المحب لا تحكمه دقات الساعة قدر ما تحكمه العاطفة و الذكريات .

ينقر بيده السمراء على زجاج شباك سيارتها فتبتسم و كأنه أعادها من خيال جميل إلى واقع أجمل , تنزل Beth من سيارتها و تعانقة و يرحب بها و يسألها عن عدم دخولها و انتظارها له فى الخارج و معها مفتاح للمنزل , تهرب من الإجابة و تصطحبه من ذراعه إلى الداخل مشيرة له أنها سعيدة لأنه الآن أفضل مما كان عليه فى آخر لقاء لهما .

يسرح فى حديثها و يصدر صوتا من فمه تعتاده هى عندما يكون ساخرا من شىء ما , يضع حقيبته و يعلق الجاكيت و يحضر من الثلاجة شرابا لهما و تفتح هى النوافذ لتجدد الهواء وتبدى إعجابها بمحافظته على نظام المنزل بالرغم من أنه يعيش بمفرده , كان إطراؤها يحمل فى ثناياه سؤالا غير مباشر عما إذا كان يعيش معه أحد الآن وبعد رحيلها من المنزل أم أنه يعيش بمفرده , و يفهمها جيدا فيبتسم لها و يسألها عن الجديد فى حياتها و ما وصلت إليه , فترد عليه بأنها هى من جاءت له للاطمئنان عليه و زيارته و بالتالى هو من سيتكلم وهى ستسمعه , يتعجب هشام من Beth التى أمامه و لا يخفى تعجبه بل يسألها ماذا حل بها ،و يؤكد لها أنه يشعر الآن أنه يجلس أمام جسد Beth لكن فى داخله روح جديدة لا يعرفها و شعر بذلك الإحساس منذ أن و جدها تنتظره فى الخارج بالرغم من احتفاظها بالمفتاح .

هى هادئة تصغى له فى حديثه و رقيقة , رقة بريئة ليست رقة امرأة تفتعلها لجذب رجل , و الأغرب من ذلك عيناها , اختفت الجرأة و لمعة السعادة بها و تبدلت نظرتها , باتت عيناها و كأنها تنتظر شيئا ما ،و بها

لمعة حزن تحاول إخفائها و حب يقفز من تلك النظرة و شوق جامح لكن يكبله حزن هادئ .

تريد القفز فى داخل رأسه، و البحث عن نفسها فى داخل تلك الرأس و أين هى من بين زحمة رأسه , لكن و لأول مرة تدرك أن المحب فقط هو من يتمنى سعادة حبيبه حتى و لو كان هو خارج معادلة هذه السعادة , فبعدها عنه فى الفترة الماضية وضح لها حقيقة كانت تغفلها و هى تقيم معه فى نفس المنزل؛ وهى أنها أحبته بل وعشقته , هو الرجل الوحيد الذى لم تستطع الدخول فى علاقة من بعده و حتى لم تحاول , كل ما تفعله فى بعده هو التفكير فيه فلم تتوسل فى الدعاء لقرب أحد إلا مع هذا الشرقى , فكم من ليلة نامت غارقة فى البكاء تتقلب فى سرير بارد هو ليس فيه داعية الرب ألا تكون هذه هى نهاية القصة معه .

تحاول فى تهدئة كل ما يدور فى رأسها من أفكار لتفيق من شرودها معه يكفيها شرودها وهى وحيدة فكيف تشرد و هى فى حضرته , تسأله مباشرة عما قد وصل إليه فى عمله و ما هى أحوال المكتب بعد تركها للعمل , فيطمئنها عليه أنه فى الفترة القليلة الماضية بذل كل جهده ليعوض ما لحق العمل من تأخر و ضرر و خسارة عملاء بسبب غيابه و إهماله , و يلومها لأنها تركته فى هذه المرحلة مما زاد الجهد عليه لأنه اضطر أن يتابع كل شىء بنفسه ولا يمكنه الاعتماد على من تم تعينهم بدلا منها حيث يستغرق الأمر وقتا لإتقانهم لتفاصيل العمل .

تسأله عن عمله و عيناها تتابعان نظراته جيدا و تحدق فى عينيه قارئة إياها , محاولة إزاحة ستار العمل و الحديث العام الجدى , تقاطعه و تسأله عن زوجته و أولاده , فينظر لها متعجبا لسؤالها , و تخبره أن سؤالها عادى و طبيعى و كانت ستسأله له دوما لو أنه كان صريحا معها من البداية، و صرح لها أنه مازال مرتبطا بزوجة تعيش فى بلد آخر و أيضا لو لم تكن كل إجاباته عن أولاده مقتضبة .

لا يسمع من بين نبرات صوتها استجواب أو غضب تخفيه بل كان حديثها كله حنان وود و رغبة فى الاطمئنان عليه .

طمأنها عليه و أنه الآن أفضل من آخر مرة رأته عليها حيث كان منهارا يهذى , و اعتذر لها عن كل ما بدر منه فى هذا اليوم أو قبله , تسمعه ثم تطلب منه عدم الاعتذار فهما الآن أصدقاء و لا اعتذار بينهما , فتسأله ثانية ماذا قرر أن يفعل فى الفترة القادمة , فيخبرها أنه فى انتظار كيفين حتى يعود لاستلام المكتب منه .و حينها سيسافر لمصر لمحاولة تسوية ما وصل إليه مع زوجته .

Beth : إياك و خسارة عائلتك , انتهاء العلاقات لا يؤدى إلى قطعها خاصة لو علاقة زواج أثمرت أبناء .

هشام : من قال إنى سأخسر عائلتى Beth ؟ لن أخسر شيئا أبدا معى و لا يمكننى تعويضه .

فقط هو و ضع النقطة نقطة نهاية ما يدور فى رأسها , دبت الجملة فى قلبها و لكنها صمتت ثم عرضت عليه استلام المكتب فهى لم ترتبط بعمل آخر منذ تركها للعمل معه ،و يمكنه السفر دون انتظار لقدوم كيفين .

اتسعت عيناه , أهى Beth التى عاشرها فى منزل واحد لما يزيد عن العام !!

لا إنها نفسها لكن بعد اكتشافها لحبها له .

نعم إنه الحب و فقط هو من يغيرنا , يجعلنا نهذى أحيانا , و ما الهذيان إلا حديث القلب إما منفطر أو قافزا فرحا .
وكأن حديثها و فكرتها جاءت له طوق نجاة , غادرت على لقاء فى المكتب فى صباح اليوم التالى لاستلام كل شىء .
لم تملك السيطرة على دموعها أكثر من ذلك و قادت السيارة مسرعة بعيدا عن هذا المنزل الذى ودعت فيه آخر أمل لاستعادة الرجل الوحيد الذى جعلها تعرف معنى كلمة حب , ولأول مرة تعود فى علاقة كانت و قد اتخذت قرارا بقطعها , وحده البكاء هو الصديق الوحيد فى مثل هذه المواقف فلا نخجل منه و هو لا يبخل علينا .
لكن هى تحبه فستساعده , تأنقت كعادتها و أحضرت القهوة لها وله ، وذهبت قبل ميعادها للمكتب فوجدته فعل ما لم تعتاده , مثلما فعلت هى مالم يعتاده منها , هى و قد غيرها حبها له لكن ترى ماذا غيره هو , و هل هذا التغيير لها !!

جاء محمود و kate كما وعدهم لقضاء يوم معهم فى الفندق , كان اليوم لا يقل فى روعته عن يوم رحلة اليخت باستثناء ما كان من مفاجآت يومها .

مر يوم و جاء الثانى و كانت نورا طلبت من مها أن يذهبا سويا لشراء بعض الهدايا لزملائها فى المدرسة , يوسف أيضا ذهب معهم لشراء هدايا لأمه و ريم و أنور كما عودهم فى كل سفر له

كان التسوق ممتعا،و المتعة الأكثر أن يكون مع عائلة مثل هذه العائلة الجديدة , أجمل ما فى هذه العائلة هو أن كل فرد منهم كان وحيدا يأمل فى من يشغل وحدته , ودون تدخل من أحد اجتمعوا وكونوا عائلة ؛ و كأنهم قطع من البازل تجمعت كل واحدة فى مكانها و كونت صورة واحدة .

تناولوا الغداء و رجعوا للفندق للتجهيز لعودتهم فى اليوم التالى , دق يوسف لمحمود ليودعه ، ووعده محمود بالقدوم إليه فى الفندق ليلا كى يسهرا سويا قبل سفره .

كان يوسف يريد الحديث مع محمود عن ظروف زواجه و كيف حل مشكلة الديانة , لا لشىء و إنما لمعرفة ما تسير عليهالأمور من الناحية القانونية , و صل محمود محملا بهدايا لأحمد خاصة و للكل و أتت معه زوجته جلسوا كعادتهم سويا و لكن يوسف أرسل رسالة لمحمود على هاتفه يطلب منه أن يحدثه على انفراد , ضحك محمود من الرسالة و قام و طلب منه أن يصطحبه للسؤال عن شىء فى الفندق , انفجر محمود ضاحكا :

" جديدة دى يا جو " .

يضحك يوسف و يرد :

" كتير خجلان بدى أحكى معك و بكير مسافر شو بعمل و فشلت كل محاولات الغمز يا صاحبى معك وما لقيت غير انى ابعتلك رسالة على الموبايل"

دخل يوسف مباشرة فى لب الموضوع و صرح لمحمود عن رغبته فى الزواج من نورا و هى مسلمة الديانة , سأله محمود عن مدى تقبله لفكرة أنها مطلقة و لديها طفلان فهو مقدر لهذه المسئولية ؟ و أيضا هل طليقها لن يطلب حضانة الطفلين بعد زواجكما , أرى يا يوسف ألا تغفل هذا الاحتمال , أما بالنسبة للديانة فيمكنكم الزواج مدنى لا دينى خاصة و أنك تحمل جنسية أخرى , الأمر ليس معقدا يا صديقى قانونا , لكن هل ترضى عائلتها , غالبا ما تأتى المشاكل بعدم الموافقة من العائلة حيث العادات و التقاليد فى العائلات أن يكون الزواج بمراسم دينية و على يد مأذون شرعى بما أنها مسلمة , يصمت يوسف ثم يخبره فى نبرة منخفضة أن نورا ليس لها سواه هو و أبنائها و صديقتها مها , ينظر له محمود و لا يكتم سؤاله :

" أنت هتتجوزها علشان ظروفها , أوعى يا يوسف متكررش الغلط "

يثور يوسف عليه قبل حتى أن يكمل جملته:

" بشو عم تقارن ؟ هه , إوعك محمود إوعك هيدى مرة بتعشقنى أنا لحالى مش هاديك الكدابة القاتلة يلى ما بتعرف ربا , أنا بحبها و متعلق فيها و فى ولادها يلى أنت بتسميهم مسئولية , و هى وحيدة و أنا شو اسم

الله , مالى والله غير أمى و الله يعطيها الصحة والعمر لكن بعدها مين بائيلى يا محمود ولا حدا , أنا حبيتها حتى من قبل ما أعرف ظروفا , حبيت روحها الطيبة البسيطة مثلى , وإيه أكتر شىء ممكن رجال يتمناه غير مرة يكون هو كل حياتها وهاى هي و أنا ربنا يقدرنى وما اخذلها أبدا "

محمود : طيب أنت مقرر يا يوسف , عاوز تتكلم فى إيه بأه , بالنسبة للجواز ممكن زى ما شرحت لك يكون مدنى مش دينى

يوسف : كيف تجوزت أنت و مرتك ؟

محمود : هههه أنا.. لأ..أنا حالة مختلفة أنا مرتى أشهرت إسلامها و اتجوزنا .

يوسف : معئول والله عن جد يعنى Kate مسلمة .

محمود : مش بالمعنى الجوهرى طبعا لكن يمكن علشان ترضينى أو تثبت أنها بتحبنى أو مجرد مغامرة منها , مش عارف لكن متنساش أنى أنا الراجل و المسلم وحتى لو مكنتش غيرت دينها كان عادى جدا أن أتجوزها .

يوسف : وليش يعنى , يعنى الرجال بيحقلو يتزوج مين ما بده , و المرة لا .

محمود : يوسف ده موضوع يطول شرحه بس تقدر تقول كده إنها من أحكام الدين الإسلامى علشان نسب الأبناء للأب فبالتالى هيتبعو نفس دين الأب .

يوسف : يعنى حولنا الديانات لعدد , كام واحد مكتوب فى هويته الشخصية الدين يلى بيتبعه .
محمود : مش هفيدك يا فيلسوف أنا مش قدك .

ودع يوسف محمود وطلب منه أن يسأل دوما عن نورا حتى بعد سفر يوسف من القاهرة فهو بدلا منه لو احتاجت لشىء , أكد محمود على كلامه حيث أنه لا يحتاج لتوصية منه فهو أخ لها وكم تعلق هو وزوجته بأبنائها و هم أصدقاء لا يمل من صحبتهم

, و بروح المزح المحمودية قال له "لكن لا تتكل عليا و تطول غيابك يعنى أنا مضمنش نورا تغير رأيها "

ضحك يوسف " لا لا تعتل هم أنا لازق لها يا زلمة ما بحل عنها"

كانت مها مع نورا قد اتفقا مع kate على أن تزورهما فى القاهرة مع محمود ، ورحبت جدا و أكدت على رغبتها فى تعمق الصداقة و تبادل الزيارات معهم .

أكملوا السهرة و تناولوا العشاء جميعا ثم ودعهم محمود وزوجته حتى يتركهم يستعدون لسفرهم فى الصباح ، و كان يود أن يأتى ليصطحبهم فى الصباح لكن كان يوسف قد حجز سيارة من الفندق ستوصلهم , ودعهم جميعا و خاصة أحمد فكم تعلق به محمود ووعده بزيارته فى القاهرة قريبا , أيضا Kate ودت لو أكلت ياسمين من كثرة تقبيلها و

أعطتها كثيرا من الهدايا كانت قد أحضرتها لها , غادروا الفندق و انهى يوسف حسابات الفندق و صعد الجميع استعدادا للعودة باكرا .

لم يخبر يوسف نورا أنه سيعود لبنان فى مساء نفس اليوم , كان يؤجل إخبارها فهو يعلم كم سيؤلمها فراقه مثله , وصلوا القاهرة فى تمام الحادية عشرة صباحا , توجهوا إلى منزل نورا , ومعهم مها فكيف لها بعد هذه الرحلة و ارتباطها بعائلتها أن تعود لبيتها الهادئ وحيدة , وعدتهم بغداء من يدها بعد ما يقرب من أسبوع من تناول الطعام الفندقى , تصرف يوسف بطبيعية ،و كأنه فى منزله , ساعد فى كل شىء و دون تكلف , ما أسعدهم بالرغم من انتهاء الرحلة أنهم مازالوا معا جميعا فلا يهم المكان , فالاكتراث للأشخاص لا للأماكن .

هدأ المنزل و احتلت مها المطبخ و لم تسمح لأحد بالدخول , جلس يوسف مع نورا فى التراس و بالرغم من برودة الطقس إلا أن الشمس كانت ساطعة و منظر النيل ساحر , أبدى يوسف إعجابه بمنظر النيل فهو أول مرة يراه نهارا من تراس شقتها حيث زيارته الأولى كانت ليلا , ظل صامتا ينظر إلى النيل بارتياح فكم أحب المنظر , جاءت نورا بالقهوة فابتسم لها و أشار لها بالجلوس بجانبه فجلست .

يوسف :أنت بتحبى المعادى ؟

نورا : بحبها طبعا , حى هادئ و اتعودت عليه .

يوسف : يعنى بتحبى بيتك فى مصر يكون بالمعادى.

نورا : بيتى !

يوسف : بيتك الجديد , أنت طبعا فهمه عليا
نورا : فهمتك زى ما تحب أنا مهمنيش غير أننا نكون مع بعض
يوسف : و أنا مثلك حبيت المعادى والله , ابدئى تفتشى على بيت هنا ،و أول ما بتلاقى بيت بس يكون كبير خبرينى يا بنزل يا بحولك عاحسابك و بنشتريه , و بتبدئى تجهزية عاراحتك بس لا تنسى أمك فى غرفة .
نورا : أنت بتتكلم بجد يا يوسف .
يوسف : و ليش راح أمزح , ما فيها مزح , لازمنا بيت بمصر , أنا ما بقدر أنقل حياتك و عيشتك عالبنان و بس , ما مصر بلدك بالأصل و نحنا راح نكون ما بين هنا و هناك , و هيدا منو بيتنا اعتبرى وجودك فى هالبيت مؤقت , حتى لو من حقك هالبيت نحن مو بعازتوا و الحمد لله , بتمنى تكونى فهمتى عليا
نورا : فهمت .
يوسف : أيوا , تسلملى هالضحكة و هاللولى يلى منور بهالتم.
يوسف : حبيبتى , أنا أحلى وقت بعمرى يلى قضيتوا معك و مع ولادى وأكيد مها , لكن أنا اليوم لازم أرجع لبنان و طيارتى ٩ مساءً.
نورا : النهاردة ! امتى حجزت و ليه ما قلتش ؟
يوسف : أنا مخنوق إنى راجع و ما حبيت أضيع فرحتنا و أقولك فأجلت بس لنوصل هون .
نورا : طيب توصل بالسلامة.

يوسف : تسلميلى يا عمرى و ديرى بالك عاحالك و عالولاد , و محمود راح يزورك و هو مثل ما شفتى مثل أخى لا تترددى تتصلى بيه لو احتاجتى أى شىء لا تخجلى .
نورا : حاضر
يوسف : نورا , بدك تلاقى محامى فى أقرب وقت و تحكى معه فى كل التفاصيل , و ضلك معى خطوة بخطوة , و أنا راح أتكفل بكل شىء , ولا تنطقى ولا كلمة , أنا مودرن لكن أنا رجال و شرقى و ما بحب أصلا أحكى مع المرة اللى بحبا فى المادة أصلا ما بيتحكى فيها , اتفقنا.
نورا : اتفقنا .

بالرغم من أن كل شىء يسير أفضل مما كانت نورا تتمنى إلا أن خوف يملؤها لا تعرف مم , تحاول إخفائه لكنها تشعر به ببرودته داخلها , هل لسفر يوسف أم لقدوم حياة جديدة , أم لنهاية حياة كانت قد اعتادت عليها , حبست خوفها البارد واعدة نفسها بحديث و البوح به لمها فهى مرآتها الآن ،و هى الوحيدة القادرة على تهدئتها , ظلت جالسة معه فى التراس يشاهدان النيل و يتكلمان حديثا عاما و آخر خاصا , إلى أن دعتهم مها لتناول الغداء , جاملها يوسف قبل تناول أى شىء لسرعتها فى إعداده , مثل أول زيارة له لم يتناول الكثير و تكلم أكثر و ضحكوا أكثر وأكثر, فكم هو شهى الطعام مع من نحب .

مر الوقت كأنفاسنا نتنفسها بعمق لكن لا نعدها ولا نحسبها , إنها السادسة مساءً لابد و أن يغادر الآن ليكون فى المطار قبل رحلته

بساعتين لينهى إجراءات السفر , تبكى ياسمين لسفر مدللها , هى لا تعرف لماذا تعلقت به , طفلة بريئة لا تعرف صلة قرابة من عدمها فقط تنجذب للحنون , يضمها و يحملها و يقبلها واعدا إياها بعودته و إرسال هدايا لها و حديثها هاتفيا و فيديو أيضا , أما أحمد لا يبكى لكنه هادئ و الهدوء علامة حزن كما تعرف عنه أمه , يوصيه يوسف على البيت و على أمه فهو الرجل الوحيد فى البيت، و لابد من أن يرعى أمه و شقيقته و يعده بهاتف خاص له فى المرة المقبلة حتى يمكنه مهاتفته وقتما شاء .

تعانقه مها تشتد فى عناقه , تدمع عيناها و تصرح له أنه أخ لم تلده أم بمعنى الكلمة , كم هو راقٍ و خفيف الظل و روح حلوة محبه للكل , يوصيها على نورا ألا تتركها و أنه مطمئن لوجودها معها باستمرار , و تقاطعه أنها أخت له و لنورا و لن تتركها و أولادها أبدا .

أما نورا تقف متأخرة بعض الخطوات عنهم مثل وقفتها عند زيارته الأولى لكنها الآن تحبس دموعها لا فرحتها , يقترب منها ناظرا لها فى منتصف عينيها فتنزل دموعها دافئة ليمسحها بيده رافعا رأسها لأعلى مشيرا برأسه بألا تبكى , هو معهم ولن يفصله عنهم مجرد مسافة و زمن , فالروح لا يحكمها المكان ولا الزمن , هو معها و ما يحدث هو مجرد انتظار بسيط أو ترتيب لبقائهم معا ولا سفر بعد ذلك إلا لهم جميعا , تدخل مها لغرفة نورا ثم تأتى بحقيبة صغيرة تعطيها ليوسف , يعرفها جيدا فينظر داخلها فتقول له إنها بالداخل , فتبتسم نورا لأنها كانت

ستنساها لولا مها فتطمئنها مها أنها لا تنسى أبدا أشياء عائلتها و خاصة عائلة مثلهم , يأخذ يوسف الصورة و ينظر فيها و يقبلها ثم يعدها بأن جميع صورها بعد ذلك ستخلو من هذه النظرة الحزينة .

فمهما نحتال بالابتسامة و العين تنزل ستارا لتخفى الحزن لكن الألم لا ينساق لستار العين فيعتصر القلب عصرا , فتأتى الابتسامة باردة .

يحدثها من الهاتف طيلة الطريق متنقلا بينها و بين الكل و يعود لها مرة أخرى لا يريد أن تشعر وكأنه انتزع نفسه مرة واحدة , يطمئنها يمزح معها يعدها بأن المرة القادمة لن يسافر إلا وهم جميعا معه , يصل و ينهى كل أوراقه ثم يعاود الاتصال بها قبل الصعود للطائرة و هكذا ظل إلى أن استعدت الطائرة للإقلاع فوعدها بمكالمتها فور وصوله.

غادر يوسف تاركا نورا تستنشق هواء القاهرة وحدها , لكن هواء اليوم محمل بالذكرى , ذكرى تعبر أمامنا فنبتسم طاردة وراءها ذكرى تبكينا فلا تترك لها مكان فى ذاكرتنا .

ترى هل تقسم الذكرى ؟ هل تمحو السعادة الألم أم تسكنه فيخمد لكن لن ننساه , هل الحياة فى امتدادها تقبل التجزئة و الإضافة و الحذف .

يشرح هشام كل صغيرة و كبيرة ل Beth كانت قد حدثت منذ تركها للعمل , بدأت هى و سألته :

هل حددت ميعاد سفرك لمصر ؟

هشام : متوقفة عليكِ .

أنا جاهزة و ما عليك إلا مهاتفة كيفين ، و حجز تذاكر سفرك.

هشام : لن أنسى لك موقفك و مساعدتك أبدا .

ليس بيننا شكر هذه هى الصداقة , و يوما سأحتاجك و أكيد لن تخذلنى .

لم ينتظر هشام كثيرا بعد حديثه مع Beth و تناول هاتفه و تحدث إلى كيفين موضحا له ضرورة سفره لكن دون الدخول فى التفاصيل ،و لم يعترض كيفين إطلاقا فور أن فهم أن السفر يتعلق بأمور عائلته .

أغلق معه ثم أجرى اتصالا آخر لحجز ميعاد السفر و بالفعل أرسلت الشركة له صورة تذكرة السفر على الإيميل الخاص به , كان سفره الخميس القادم أى بعد يوم واحد فاليوم الثلاثاء , كل ما يشغله هو استقبال نورا له و أبنائه أيضا هل يعرفونه و كيف سيستقبلانه , أخذه تفكيره إلى منطقة أخرى ؛و هى أنه كيف لم يكن يفكر فى مثل هذه الأشياء من قبل هل تشغله الحياة بهذا القدر.

حاول احضار بعض الهدايا حتى ولو لم يوفق فى الاختيار لكنه أقنع نفسه أنه لابد من شراء الهدايا ولو من باب الطقوس !

وصل يوسف لمطار بيروت تحدث إلى شريكة روحه قبل أى شىء ليعلمها بوصوله ،و أنهى مكالمته معها على أنه سيحدثها مرة ثانية عندما يصل لبيت والدته فسيذهب إليها مباشرة .

لم تتفاجأ ماجدة حيث أنها كانت تتوقع ميعاد وصوله حيث أنه لم يهاتفها ؛ ولأنها تفهمه فتوقعت قدومه , دق الجرس فإذا بها تطلب من فادية أن تفتح الباب ليوسف ،و تضحك فادية ساخرة منها , فتقبله و تقول له:

" أمك عم تحلم بيك ولا عم تشم ريحتك , ولا عم تتنبأ , بدنا والله نفتحلا محل عراف و ضارب رمل ولا تنسى البلورة ابنى "

كم يفرح البيت وتحل روح الدعابه مع قدومه الساحر أينما حل

كان قد اتخذ قراره بعدم الحديث مع أمه عن تفاصيل ما حدث فى القاهرة و شرم ، و أنه سيكتفى فقط بأن يطلعها على الإيجابى ،و أنه كم هو منسجم مع نورا ،وكم كانت زيارته سعيدة , وبالفعل هذا ما حدث فسعدت هى الأخرى، و سألته متى يعتزم الزواج وما هى خطته , فأكد لها أن كل شىء سيسير جيدا لكنه لم يحدد وقتا , هو لا يريد أن تعلم أن زواج ابنها متوقف على طلاق من سيتزوجها , صمت ولم يفتح الموضوع لا لأنه عار و شىء سىء بل لأنه يرى أنها حياته الخاصة و يحق له الاحتفاظ ببعض التفاصيل لنفسه , و يريد أن تعرف أمه نورا و من ثم تحكى نورا عن نفسها بنفسها لأمها .

تقابل هشام مع Beth فى اليوم التالى ،و جلسا سويا لإنهاء بعض الأعمال قبل سفره فلم يتبق إلا ساعات , أنهى الكثير من العمل و دعته هى لتناول الغذاء , كان الصمت هو السائد بينهما, لم يكن صمتهم لتناولهم الطعام أبدا , لكنه كان صمت بارد و به رائحة الخوف , لم يعرف هشام هذه الرائحة من قبل المصحوبة ببرودة و غيام , حتى أنه لم يكن يقدر على تفسيرها , لكن ما من شخص تنبض به الحياة ولا يعرف الخوف , أما Beth فهى الجالسة على بعد سنتيمترات منه إلا أنها تشعر و كأن بينهما أميال مهما حاولت لن تقطعها , بين الحين و الآخر تكسر هى الصمت بجملة قصيرة ،و يرد هو باقتضاب لا لشىء يتعلق بها لكن لأن عقله فى مكان آخر , عقله يتخيل الأحاديث و يتوقع ردود الأفعال .

Beth :كل شىء هيمر أكيد و مش هيحصل غير ما تريده
هشام : أنت الوحيدة اللى ممكن أتكلم معاها و كلامك ده بيطمنى , تخيلى مع كل علاقاتى لم أجد من أتحدث معه ،ولو لم تأت لزيارتى فى منزلى و عودتك للعمل لم أكن أعلم ماذا كان حل بى الآن .

تبتسم هى و تسعد فى داخلها فقط لحديثه فيكفيها أنها وفقط من بجانبه الآن , ستوصله بسيارتها و تركن له سيارته إلى أن يعود و هو سيترك لها أمر المنزل فى غيابه , تتركه يجهز كل ما يتعلق بسفره ،و تعود لاستكمال العمل فى المكتب و تتفق معه على أنها ستمر عليه فى

تمام السادسة لتقله إلى المطار , كم يشكرها و كم يمتن لوجودها بجانبه .

تذهب و ذهنها يدور ماذا لو كان تقربهم هذا من فترة , وكم هى غريبة الحياة , كانت شريكته فى الفراش و بعيدة عن قلبه , أصبحت قريبة من قلبه و روحه لكن تاركة جسده .

يتجول فى أنحاء المنزل جامعا أغراضه , ذهنه فى القاهرة , يتذكر أمه فتدمع عيناه , متعجبا من نفسه وهو الذى لم تر وجنتيه قطرة دمع واحدة يوم أخبرته أخته بوفاة أمهم , يتجول و كأنه يريد الوقت أن ينقضى فقط ينقضى .

كل العجب لنا ندرك قيمة الأشياء عند فقدانها , كم يكون الشخص أحيانا ضعيف و هش من داخله لكن يلبس رداء القوة كى لا يرى أحد ضعفه , عن نفسى لم أر فى البكاء التسامح , الرضا , العفو , إلا القوة , و الدعاء قوة فالقدرة على الدعاء تعنى الأمل و الأمل قوة .

ودعته Beth بعناق و دموع , و شكرها مرارا , أنهى الآن كل إجراءات السفر و ينتظر النداء على الرحلة , متخبط لا يعلم هل يتصل ليعلم نورا بقدومه أم لا , و أخيرا نهض ليتحدث إلى سمر:ألو.

هشام : إزيك يا سمر.
سمر : هشام , إزيك يا حبيبى عامل إيه؟

هشام : أنا فى المطار يا سمر جاى على مصر .

سمر : بجد , طيب ليه ما كلمتنيش من بدرى , الساعة فى مصر ١١ الصبح هتوصل إمتى ؟
هشام : هوصل بكرة الساعة ١ بعد نص الليل بتوقيت مصر
سمر : طيب أنا و محمد هنكون فى المطار يا حبيبى من ١٢
هشام : مفيش داعى يا سمر , أنا هاجى , على فكرة نورا متعرفش أنى جاى .
سمر : وأنت عاوزنى أبلغها ولا لأ؟
هشام : لأ أنا هنزل فى أوتيل حجزت فيه و لما أوصل نتكلم

وكأنه فقط يريد هذا الشعور , إن هناك من ينتظره , من يعلم بقدومه , النداء على رحلته فينهض واقفا فى الصف ليدخل , يسير دون الشعور بجسده .

لا يعلم كم مر من الوقت ولا كيف مر كل هذا الوقت ووصلت الطائرة إلى مصر و تستعد للهبوط فى مطار القاهرة , أربعة عشر ساعة و أكثر مدة الرحلة مضت ولم يشعر بها أو يتملل حتى , فالزمن ربما تحكمه الأحداث ،وهى وحدها القادرة على التحكم فى لزوجته .

وصل و استنشق هواء القاهرة , مهما بهرنا رقى الغرب فهو يظل غير قادر على إخماد دفء الوطن داخلنا , فيظل فى مخزن داخلنا دفء

الوطن , لهجة من فيه , حتى المزاح , رائحة الهواء , الزحام , يصبح ما نتتقده فى وجودنا مفتقد فى غيابنا .

خرج ليجد سمر واقفة تتأرجح عيناها بين كل القادمين على نفس الرحلة , عرفها أول ما وقعت عينه عليها بالرغم من اكتسابها بعض الوزن ، و تغير ملامحها بعض الشىء إلا أنه عرفها ،و لوح لها فعثرت عليه عيناها , قفزت فرحا مشيرة بيدها إليه محدثة رجلا بجانبها طويل القامة أسمر البشرة كمعظم المصريين , داكن الشعر لكن لم يتمكن هشام من التدقيق فى ملامحه عن بعد , اقترب منهم ومشوا معه إلى أن خرج من بوابة الخروج و تعانقه سمر و تبكى , لا تعرف لماذا ربما هى عادة تلازم المستقبلين للعائد من السفر!

تقدم أخاها لزوجها " أخويا الباشمهندس هشام" و تكمل التعارف " جوزى العقيد محمد , عقيد جيش فى شئون الظباط فى الرئاسة "

يسلم عليه هذا الرجل الذى قيمه هشام فور أن رأى ملامحه من قرب بأنه رجل طيب مسالم و هادئ , فكم هو خبير فى البشر كما أنه يملك ميزان لكل من يقابلهم فيعرف من خلاله مدخل الشخصية التى أمامه.

يعتذر لمحمد عن التأخر فى التعرف عليه لكن الحياة العملية ،و السرعة التى يجب و أن تكون عليها هى السبب , يبتسم له محمدو لا يلومه مقدرا لكلامه , لكنه يعرف جيدا أن ما يقوله واهٍ و ضحل ,

فمالا يعرفه هشام عن هذه النوعية من الطيبين إنهم يملكون شفافية وهدوء يفهمون جيدا و يشعرون بداخل من حولهم لكن يلتزمون الصمت للحفاظ على اعتبارات أهم .

لامه محمد لرغبته النزول فى أوتيل , فلماذا لا يأتى منزل أخته و منزله بالطبع , فاعتذر هشام كثيرا ، و أبدى رغبته فى البقاء فى الأوتيل أفضل ، و أنه قطعا سيقضى معهم وقتا كثيرا لكن هكذا أفضل له .

قاموا بتوصيله إلى الأوتيل و صعدا معه إلى باب الغرفة ثم تركاه ليخلد إلى النوم من تعب الرحلة ،و قال لهم إنه غدا سيتصل بسمر قبل أن يأتى إليهم فى المنزل .

ود لو اتصل بنورا و أخبرها أنه بمصر لكن كان الوقت قد تأخر كثيرا ،و خشى إزعاجها ووقع المفاجأة عليها , غلبه النوم من شدة التعب فهو لم يغفل لدقيقة طول مدة الرحلة فاستسلم للنوم

لم تدخل نورا غرفتها إلا و ابتسمت ،و ألقت التحية على صورة يوسف وكأنها تراه بشخصه , سرعان ما نرجع للروتين اليومى فى الحياة ما دام القلب يغرد فرحا لا يعتصره الألم , فجهزت كل شىء للالتزام بالعمل من بداية الأسبوع , و لم تفارقها شريكتها فى الحياة مها , فتقتسم معها كل شىء حتى حب الأبناء , أيضا محمود لم يخلف وعده مع يوسف و يهاتف نورا يوميا ،و تتوطد العلاقة معه وزوجته , و هكذا كان إيقاع يوسف أيضا فى بيروت حيث انتظم فى لقاءات العمل

،و أبدى امتنانه لأنور و ريم , لكن ما كان يتعجب منه يوسف هو إشراق ريم و سعادتها أيضا انسجامها مع أنور , و افراط أنور فى مغازلتها بدلا من مناكفتها , ينقض عليهم فجأة وهم يتحدثان إلى بعضهما بصوت منخفض جدا فتفزع ريم و يقول لهما:

" شوفوا أنا بدى أفهم شو يلى عم بيصير من ورا ضهرى و شو هالتغيير ؟"

تبتسم ريم وتنظر لأنور تاركة له حق الرد مثلما قالت , فيرد أنور:" شوف معلم أنا غرت منك هه , و يعنى مو أنت لحالك يلى يحقلك تعشق والله إحنا كمان منا قلال ها "

يفرح يوسف من قلبه و يؤكد لهم أن فرحته الآن فقط قد اكتملت , يفهم أنور ما بين كلمات يوسف فهو يعرفه جيدا و يعرف أنه لا شك كان يعلم بحب ريم له ،و أن ما كان لا يكمل فرحته أنه يمزق قلبها لكن عن غير قصد بالتأكيد أما الآن فهو مطمئن كليا فهو تركها فى ضمة من سيسعدها حقا .

أما أنور ففرحته مضاعفة؛ الأولى لزواج صديق العمر و الثانية لجنيه ثمرة صبر السنين ،و فوزه بقلب من عشقها صمتا .

كم تمناها لكن فى صمت لمعرفته كم مقدار حبها ليوسف , أما الآن فهي بين يديه بعد أن كسر الصمت .

تعدت الساعة الرابعة عصرا ،ولم يتحدث هشام لشقيقته , هى تريد الاتصال به لكن تمنع نفسها ربما مازال نائما , تحدثت مع محمد بعد أن عاد للبيت بعد العمل و شراء الفاكهة و الخبز كطقسه كل يوم , ويسألهاعن أخيها و عن سبب زيارته لمصر , و لأول مرة يقول لها محمد:

" الله يسامح اللى جوز الست دى لأخوى "

لم تصدق سمر أذنها فيكمل

محمد : " بتبصيلى كده ليه يا سمر أنت ناسية اليوم اللى جت فيه نورا هنا من فترة أنا كنت هنا و سمعت كل كلامها دى مسكينة يا سمر ،و أنا لما شفت هشام و هيئته و نظرته عرفت نوعه , دول ميتفقوش مع بعض أبدا ".

سمر : طيب الله يخليك وفر رأيك ده لنفسك و ما تنساش إن فى ولاد بينهم، و الست ممكن تتحمل كل حاجة علشان ولادها
محمد : وأنت ما تحملتيش ليه جوازتك الأولى علشان بنتك , يا سمر أنت ست و عندك بنت ربنا يخليها لينا أوعى تظلمى ست زيك .
سمر : طيب أنا أصلا مينفعش أتدخل , هو يحل مشكلته بنفسه , هو مش صغير .
محمد : أيوه كده .

دق هاتف سمر , يبلغها هشام أنه على بعد دقائق من المنزل , لم تمر إلا أربع سنوات و تزيد قليلا إلا أن الشوارع تغيرت ،و ازداد الزحام

الذى كان يتأفف منه دوما قبل سفره , دخل الشارع لم يعد قادر على تمييز المنزل من كثرة المحلات التجارية و ما تضعه خارجها من معروضات , طالت الفوضى حتى الأحياء الراقية ،و عمها التلوث السمعى و البصرى , تشتيت تام للبصر من تكدس المحال أسفل كل المبانى , دق مرة ثانية لسمر كى تدله على المنزل , فقالت له أن زوجها نزل توا حيث شاهد سيارة الفندق , استقبل هشام و غادر السائق ليعود ثانية عندما يهاتفه هشام ؛ و كأنه أصبح غريبا غير قادر على إيقاف سيارة تاكسى و التنقل بها , كان استقبال محمد له حارا مرحبا , بدا له المنزل و الشقة قد تغيرت كثيرا إلا أنها و برغم تغيرها لم تخل من رائحة أمه , بدت له و كأنها جالسة فى البلكونة و انتبهت لحضوره من صوت المفاتيح فتناديه ..

" هشام أنا هنا يا حبيبى تعالى "

جملة ظل يسمعها ؛و كأنها لحن موسيقى يلازم دخوله للمنزل و دوما يكون فى استقباله , إلا هذه المرة فهو الخيال ليس أكثر أو ربما مركز الذاكرة فى المخ هو الذى يفرز الذكرى من مشهد نراه أو رائحة نستنشقها أو صوت نسمعه فيأتى لنا بمخزون كنا قد غفلنا عنه ربما.

رائحة الأكل المصرى الشهى تملأ المنزل , تعده سمر أن تطعمه مثل أكل أمهم طيلة وجوده فى مصر , لكنه لم يكن مشتاق للأكل المصرى قدر ما هو مشتاق لأمه , ود لو بكى , لكن تعصى عليه دموعه , فهو الشرقى الجسور و النصف غربى البارد , الرجل القوى المتحضر فكيف يبكى ,

لكن ما كل هذا التناقض و التعقيد , تعصاه دموعه فقط لوجود من حوله , حتى الدموع على أمه ؟! نعم حتى هذه , ربما لو كانت من يؤلمه فراقها هنا لأخفى رأسه فى صدرها و بكى دون خجل بكى و أخرج الألم , لكن مهما أحبته شقيقته فهى ليست بأمه .

يزداد الألم معاندا تمرد الدمع , فبين الدمع و الألم علاقة عكسية , يخف الألم رويدا إذا انهمر الدمع و يحتقن و يثور الألم أمام عصيان الدمع عن النزول , ودمع هشام متمرد على ألمه .

يشرد فى أركان المنزل , أو بالأحرى في مواقف شهدها المنزل , لكنه يتذكر الآن بشعور مختلف , حتى و لو لم يصرح فهو يعلم أنه مخطئ , و أخطأ كثيرا لكنه يعلم أن الحياة لا تمل من تقديم الفرص , و قدومه لمصر فرصة , فرصة للتصالح مع داخله , فرصة لكسب أفضل ما قدمته له الحياة .

تناول الطعام معهما و كان هادئا لا يتحدث كثيرا , طلب من أخته أن تأتى معه لمنزله أو منزل نورا و أبنائه , انسحب محمد عندما بدأ الحديث يتطرق لنورا فهو يفهم الوضع جيدا , تستجيب سمر لطلبه , لكن تريد أن تهاتف نورا أولا , كيف ستدخل معه و فجأة ؛ ألن يكفى أنك هنا منذ أمس و لم تذهب إليهم مباشرة , لكنه يعرف جيدا أن الوضع الآن ليس زيارة عادية بل الموقف معقد نوعا ما , تعرفه سمر جيدا لن يسمع لها و سيفعل ما يريد , تحدثت لزوجها و غادرت منزلها مع هشام متوجهين لمنزل نورا .

كان يوم السبت هو عطلة نورا و الأولاد، و اعتادت مها أن تقضيه معهم لكن الذى كسر الروتين فى هذه السبت هو تليفون محمود لهم فى التاسعة صباحا ،و مفاجأتهم أنه هو وزوجته فى القاهرة و سيمر للزيارة فى الثامنة مساءً , رحبت نورا بهم بالطبع و أنهت كل أعمالها قبل الغداء ،و ذهبت لتناول الغداء خارج المنزل مع مها و أبنائها ،و اشتروا بعض ما يلزم المنزل و عادوا للمنزل فى تمام السادسة , أحمد مستعد للقاء صديقه و كذلك ياسمين لم تنسKate منذعادت من شرم دائمة الحديث عنها .

كان محمود و زوجته فى خان الخليلى و الحسين فهما دائما الزيارة لهذا المكان الجميل العتيق كلما أتيا للقاهرة , اشترت Kate ما تريد من مشغولات فضية و بعض التحف لمنزلها و لم تنس نورا و مها و ياسمين فاشترت لهن بعض الهدايا , تحدثت مع محمود وهما فى طريقهما لنورا عن مكالمتها الأخيرة مع كارلا , قاطعها محمود أنه يستطيع أن يخمن فحواها , و أكد لها أن يوسف صارحه على انفراد فى آخر يوم له قبل سفره أنه عازم على الزواج من نورا ولن يوقفه شىء , و كم هو يعشق هذه المرأة , أكملت أنها أخبرتها بذلك لكنها لم تقتنع فهى لن تتخلى عن فكرة استرجاع يوسف ،و أنها لن تصدق أنه يمكن أن يحب أحدا غيرها , وفقط يراها و تتحدث إليه سيعود كل شىء , و أبلغتها أنها قادمة إلى مصر فى عمل و ستأتى لشرم أيضا , حزن محمود لسماعه هذا الحديث فكارلا صديقته أيضا ،و هو يعلم جيدا معنى أن تصرح بمثل هذا الحديث فهى فى هذه الحالة مدمرة , و لا

أمل أمامها إلا يوسف , لكن مهما حدث فهو لن يتدخل و لن يخبر يوسف بشيء , و صلت سيارة محمود إلى كورنيش المعادى فتوقف و دق لنورا كى تشرح له الطريق للمنزل ،و بالفعل وصل محمود بعد خمس دقائق من حديثه لنورا .

توقف هشام و سمر لشراء حلوى بجانب الهدايا التى أحضرها هشام ،فأكيد أبناؤه ككل الأطفال يحبون الحلوى , لكنه لم يكن يعرف أى نوع ،و لا أى نكهة يشترى لهم , فلن يلوم إلا نفسه ،لكن لم يترك نفسه لتفكيره كثيرا ،و اشترى من الموجود و غادر ،إنها الثامنه و الربع و الطريق مزدحم بعض الشيء , كان هشام يدل السائق على الطريق بسهوله مازال يتذكر بيته جيدا , وصلا عند الثامنة والنصف .

استقبلت نورا و مها محمود و زوجته و رحبا بهما ،و أبدت Kate إعجابها بالمنزل ،و كانت سعيدة لأن هداياها لهم حازت كل الإعجاب حتى ياسمين أحبت الحلق الذى أحضرته لها و لبسته فى الحال , و أحمد يسأل عن يوسف فكان يتوقع قدومه مع محمود , لكن سرعان ما ينسى و يلعب مع محمود , اقترح محمود أن يهاتف يوسف و يتحدثوا إليه جميعا .

محمود :ألو

يوسف :هلا محمود كيفك ؟

محمود : تمام و مش ناقصنا غيرك , معايا ناس عاوزة تسلم عليك.

نورا : يوسف إزيك.

يوسف : عيوني , أنت كيفك يا عمرى , أنت يا روحى رجعتى عاشرم ولا شو , ولا إن غاب القط...

نورا : هههه لا شرم هى اللى جت عندى.

يوسف : قتيل هالضحكة , والله يعنى محمود عندك , فيه الخير يا ريتنى معكم .

مها : مش عاوز تسلم عليا ولا إيه؟

يوسف : كيف يعنى , أنا ما بقدر ما سلم عالقمر .

مها : طيب خلى شوية للباقى.

أحمد : وحشتنى , جاى إمتى عمو محمود هنا .

يوسف : جاى قريب حبيبى , و ابعتلى بدك شو أجيبولك معى .

ياسمين : و أنا هاتلى بيبى بيعمل فى التواليت.

يوسف : من عيونى , بس يمكن ماما تجيبلك بيبى عن جد .

دق جرس الباب , همت مها لتفتح الباب , ظل هشام ينظر لها ثم انتقلت عيناه سريعا لداخل الشقة و المشهد خلف مها ،

obeikandi.com

رأى ابنه و الذى يعرف شكله الآن من الصور يجلس على قدم شخص لا يعرفه، و ابنته فى حضن امرأة من النظرة الأولى عرف أنها امرأة أوروبية , ومن هذه التي عاد بنظره إليها , حدثته مها

مها : أيوه يا فندم حضرتك عاوز مين ؟
هشام : أنا عاوز الست اللى هناك دى.

و أشار إلى نورا فالتفتت مها إلى نورا ،و التفتت نورا إلى الصوت , تعرف هذا الصوت ..هذه النبرة ..هذا الإصرار فى الحديث.. هذه القوة فى اللفظ , لم تتفوه بكلمة , لكن مازال يوسف على الهاتف , أعطت الهاتف لمحمود الذى فهم من نظرتها أن هناك ما هو غير متوقع يحدث , كان يوسف يشعر أن شيئا ما طرأ فيسأل محمود و يجيبه محمود أنه لا يعلم ،و طلب منه أن يغلق و أنه سوف يعاود الاتصال به ،لكن يوسف رفض و طلب منه أن يتركه على الهاتف و يذهب ليرى الموقف , وبالفعل ترك محمود الهاتف على الطاولة ليسأل نورا , و إذا بالرجل على الباب , يقول :

"ها يا مدام نورا ممكن ندخل ولا جينا فى وقت مش مناسب" , لم تفهم مها شيئا , فأكمل قائلا ,

"أحب أعرف حضرتك بنفسى" تقاطعه نورا ..

"اتفضل اتفضلى يا سمر"

، حينها أدركت مها من يكون هذا الذى يوزع لهبا من عينيه , توجه مباشرة إلى الصالون المقابل للتراس حيث يجلس الموجودون , تطلب منه نورا أن يتفضل فى الداخل , فيشكرها و يرفض و يجلس فى مواجهة الجلوس واضعا قدم فوق الأخرى , لا يفهم أحد نظراته , يشير لأحمد و يبتسم له ابتسامة عريضة , لكن الولد صامت لا يتجاوب معه , لكن ياسمين ينظر لها فتبتسم له , كم هى بريئة كالملاك , لا تبخل أبدا فى توزيع الابتسامات .

هشام : إيه يا نورا مش هتعرفينى على ضيوفك ؟

نورا : أستاذ محمود و مراته Kate أصدقائى , هشام أبو الأولاد.

اتسعت عينا يوسف الذى مازال على الهاتف , قفز من مكتبه راكلا كل شىء أمامه .

يوسف : محمود , محمود رد.

سمع محمود الصوت القادم من هاتفه فالتقط الهاتف ،و سأل نورا لو يمكنه الدخول للتحدث فى التراس , و بالطبع رحبت

محمود : يوسف أنت سمعت ؟

يوسف : أى سمعت , اسمعنى أنت لا تتركها أنت بدالى هناك سامعنى ولا شو , محمود أنا عاوز أصارحك بشىء , نورا مازالت علئانة مع

الزلمة , و بينهم مشاكل فلا تتركها وحدها ،و أنا بحاول آجى إنشاالله بكرة لو بئدر وبلاقى حجز لكن أنت لا تتركها , فاهم لا تتركها .

محمود : اطمن يا يوسف و أنا شايف إن مفيش داعى تيجى إلا لو أنت مُصرّ خلاص .

يخيم الصمت , خاصة بعد أن اصطحبت مها الأولاد لمشاهدة الكارتون فى غرفتهم , ثم أعدت القهوة و اكتفت بذلك فالجو العام ألغى قائمة العشاء التى كانت قد أعدتها على شرف محمود و زوجته .

يجلس هشام غريبا فى منزله لم ير أى ترحاب من أحد إلا ياسمين و اكتفت بابتسامة , وهو لم يبذل شيئا لينال المزيد ، لم يكن يعرف لماذا يرضى بالجلوس فقط على هذا الكرسى المريح الضخم جلسة يدعى فيها القوة التى هو على عكسها فى داخله , فعن أى قوة يتحدث هذا المنشطر القلب , تجلس أمامه امرأة فقط اكتشف حبه لها بهجرها له , و طفلان يفضلان معانقة الغريب عن الابتسام له , ما هذه الحالة التى وصل لها , لم يشعر بضعف قدر ما يشعر به فى هذه اللحظة , لكن السؤال ماذا يريد , هذا السؤال يعصف برأس الكل نورا , مها , محمود , سمر و حتى Kate , و لكن هو وحده من يعرف ماذا يريد .

هو لا يريد إلا عناق نورا و مسحة من يدها الصغيرة على رأسه ،و قبلة من شفتيها الدافئة على جبينه و يد تمسح على ظهره صاعدة هابطة

،و هو سيستسلم لفيض حنانها , هو لا يريد إلا ما عودته عليه , هو تعود على حنانها فأخذه حقا مكتسبا، فكيف لها أن تمنعه من حقه؟!

كانت نورا دوما له نهر من الحب و الحنان , لكن ما لم يحسب له هشام هو ظمأ النهر! نعم النهر مثلما يفيض يمكن أن يظمأ , و أدرك هو أن نهر نورا اشتد ظمأه و جف النهر.

أشار محمود لنورا فقامت معه فتحدث إليها فى هدوء هل يجلس أم ينصرف لكنه سيظل فى سيارته ،و يعود عندما ينصرف هشام و لو احتاجته فى أى شىء فقط تهاتفه سيأتى فورا , ارتاحت نورا لاقتراحه , سلم على هشام و سمر و رأته مها فطلبت من نورا أن تأخذ أحمد و ياسمين للعشاء فى الخارج , وافقت نورا , و انصرف الكل ولم يتبق إلا نورا مع هشام , و سمر التى نهضت هى الأخرى مودعه أخيها و لم يعترض , فعانقت نورا هامسة لها :

" ربنا يقدم الخير علشان أولادكم " و انصرفت .

من سنوات طويلة لم ينفرد بها , تسأله لو يريد أن يتناول شيئا , فينفى و يبتسم لها قائلا:

"عمرك ما هتتغيرى , الحنان نورا" .
نورا : لأ بس أنا اتغيرت يا هشام.
هشام : عارف , احلويتى مع إن طول عمرك حلوة , على فكرة أنا كمان اتغيرت يا نورا.

نورا : أنت عاوز إيه يا هشام ؟
هشام : عاوز نرجع زى الأول.
نورا : تأخرت و كتير كمان ..خلاص مينفعش.
هشام : أنا هخليه ينفع.

لماذا سيظل معتقدا أن العلاقة الجنسية تصلح ما يكسره التعامل , هى هامة لا شك و تقوى العلاقة و تذيب الحدود و تقرب المسافات , لكن لن تداوى جرح , هذا ما لم يتعلمه , كان دائم اللجوء للاقتراب جسديا منها بعد كل مشكلة أو مواجهة , لا ليقترب من روحها و داخلها بعد موجة خصام مثلا ليهدأ من نفسها , لا لكن ليتغلب على الخصام لا سببه , فيزول الخصام بعدها لكن يبقى سبب الخصام موجود لا يعالجه .

و هاهو الآن يلجأ لنفس الحيلة القديمة التى لا يمتلك غيرها , لكن هى كانت ترضخ فى الماضى أما الآن فهى تصده و تدفعه بكل قوتها و تمسح بغضب قبلته , و يستمر هو فى دفع نفسه معتقدا أن هذه الواقفة أمامه هى نفسها التى كانت أمامه من أكثر من أربع أعوام , لكن هناك لحظة ما و نظرة ما كان قد أدرك فيها فعلا هذا التغير .

أدرك أخيرا أن ما هى عليه ليس موجة غضب كموجات الماضى , إنه شىء آخر , إنها امرأة أخرى , لكنه يراها امرأة أجمل الآن مما كانت عليه , و يتأكد من نفسه أنه يحب من تقف أمامه الآن و يحب من

كانت فى الماضى و أنجبت الأبناء , لكن من يعيد الماضى و من يضمن المستقبل .

تحاول هى أن تهدأ قليلا , ثم تشرح له فى هدوء أنها لا تكرهه فهو مرتبط بها رضت أم أبت لوجود الأبناء , لكن استمرار الحياة الزوجية بينهما لم يعد ليستمر و تذكره بأن هذا كان خياره هو من بداية الأمر و ما هى إلا مستجيب , و هى استجابت و غيرت ترتيبات حياتها بناء على ما رسمه لها .

يسمعها و يعرف أن كل ما تقوله صحيح , وهذا هو المؤلم , فالندم مؤلم و يحاول الآن أن يصلح الأمور حتى لا يقع فى الندم باقى عمره .

سمعها و لكنه لن يكف عن المحاولة , يدق هاتفها , تنظر فى الشاشة ثم تغلقه .

كان يوسف هو المتصل , تغلق عليه فيتصل بمحمود فيخبره محمود بأنه ليس فى المنزل فيلومه يوسف , لكن محمود يتفهم شعوره و يفهم أنها الغيرة , فيضحك و يطمئنه و يغلق معه .

أما يوسف فيعرف أن محمود لا يعى حقيقة الموقف فمن أين له أن يعلم أن هشام مازال زوجا لنورا , فكل ما يفهمه أنهم مطلقان و ربما الرجل يحاول عرقلة زواجها أو شىء أو مجرد زيارة أو شىء يخص الأولاد و النفقة وشىء من هذا القبيل .

يعاود يوسف الاتصال بها مرة أخرى , و يرن هاتفها وتنظر ثم تغلقه , ثار هشام عليها , سألها :

مين بيطلبك ومش عاوزة تردى عليه؟
نورا : شيء ميخصكش.
هشام : لا يا مدام يخصنى , أنت مش حرة , أنت مراتى .
نورا : لأ أنت رامينى من زمان , إيه أصلا فكرك بيا؟
هشام : سامحينى , و نبدأ من جديد , أنا اتغيرت.

يرن الهاتف مرة أخرى , لا يعطيها فرصة يخطف الهاتف بقوة من يدها , تحاول هى أخذ الهاتف منه , ناعته إياه بكل الصفات السيئة , لا يستجيب لها و يفتح الخط ليجيب على المتصل

يسمع يوسف صراخ وبكاء نورا , جن عقله .

يوسف : ألو , نورا شبك , شو فى .
هشام : آه دا البيه مش من هنا .
يوسف : اتركها , اتركها عم ئلك , افلتها لك حيوان , بتتمرجل على مرة وحيدة , افلتها وإلا والله بئتلك يا واطى.
هشام : أترك مين أترك مراتى , ليه هى الهانم مفهماك أنها مش متجوزة ؟

يأتى صوتها من الخلفية , " يوسف إقفل الخط , يوسف عشانى إقفل"

obeikandl.com

هشام : إقفل عشانها يا سبع , لا خليك عالخط عشان تتأكد أننا تصالحنا .

يوسف : واطى والله العظيم لأقتلك.

يعلو صراخ نورا و يعلو صوت يوسف عبر الهاتف و هشام يمسكها جيدا و يثبتها على أحد الجدران , يحاول تهدئتها , يبكى بهدوء و يقترب منها ناظرا لها.

" حبيبتى إهدى"

يبكى و يضمها و الصوت يهدأ و يوسف يعلو صوته و تنظر هى للهاتف , يسحبها من يدها بعد أن يهمس فى أذنها

" أنا ممكن أموت لو شفت فى عينك نظرة خوف منى "

يدخل بها إلى غرفة نومهم القديمة , لم يتغير فيها شىء هكذا قال لها عند دخوله , وهنا يعلو صوتها و بهيستريا مرة أخرى , و لا تنقطع مناداة يوسف باسمها .

يقع نظر هشام على صورة يوسف التى بجانب السرير , جن هشام , افلتت يدها منه لكنه لم يتركها تخرج من الغرفة , ظل يكرر عليها :

" مين ده , مين ده اللى صورته جنب سريرك , و نام على السرير هنا ولا إيه "

ظل على هذه الكلمات , تدفعه عنها ولكن كل محاولاتها فاشلة , ثم يهدأ نوعا ما و يلقى بالصورة على أرض الحجرة و يقربها له و يقول لها أنه قادر على تخطى أى شىء مادامت معه , و لن يحملها الخطأ وحدها فهى امرأة وحيدة وجميلة وما حدث كان وارد لكنه ربما فهم متأخرا .

عقلها الآن يرفض كل كلمة يتفوه بها, كيف لها أن تستوعب ما يقوله وهو فى حالته , يطلب منها فقط أن تطمئنه أن كل شىء سيعود بينهما , تدفعه نورا و تنجح هذه المرة , فيبتعد عنها قليلا و تقول له:

إن ما يريده لن يحدث و أن حديثه فائت لأوانه , يصرخ فى وجهها لماذا , لماذا , لماذا , فتصمت هى , فيسألها

" أنت خنتينى ؟"

تصمت وتهرب من عينيه , يجذب وجهها له بشدة مكررا سؤاله:

" أنت خنتينى" " أنت خنتينى؟ "

تصرخ ..

"أيوا , عشان كدة خلاص قصتنا انتهت , وأنت السبب".

لم تنه جملتها إلا وانهال عليها ضربا و ركلا , وجهها ينزف و لم يتركها و كأنه لم ير ما فعله بها , تدفعه و تدفعه و تجرى بقدمها الثقيلة المنهكة , فيمسكها و يدفعها دفعة قوية فاذا بها تقع على الحافة الرخام لمرآة

حجرة النوم و ترتطتم رأسها بها بقوة السقوط ،و هنا فقط صمتت نورا و كفت عن دفع هشام و هدأ الجسد الصغيرو كأنه استسلم للراحة بعد العناء , ينادى عليها الرجلان فى نفس الوقت .

رجل أعطاها شقاء وراحة أبدية و رجل أمطرها عشقا و أذاقها طعم الأمان , يصرخ يوسف من الهاتف " حبيبتى ردى عليا " و يناديها هشام " نورا أنا اتغيرت " .

ها هى أمام مرآتها , مثلما كانت تفعل دوما , تهرب إلى مرآتها و لا تصارح إلا هذه المرآة فكم سمعت شكواها ،ورأت دموعها ..هذه المرآة .., لكنها الآن أمام مرآتها صامتة , حتى البكاء الهادىء لا يصدر عنها , رحلت تاركة الآن كل أسرارها ودموعها للمرآة .

وقف الآن كل شىء وقفت نظرتها للمرآة ،و لكن هل تنظر لها المرآة الآن , هل رحمتها مرآتها من آلام الحياة فأهدتها الراحة منها , أيا كان السر بين نورا و مرآتها فلن يعرفه أحد , ذهبت نورا و بقيت المرآة , ذهبت نورا آخذة معها سرها , ذهبت تاركة من تمسكت بالحياة لأجلهم ذهبت تاركة ابتسامات أبنائها ذهبت بعد أن أهدت منزلها سعادة بضحكات أصدقاء لم يجمعهم إلا الحب , ذهبت بعد أن أهدت أذنها صوت همسات الحب ،و رائحة يوسف التى لا تفارقها بعد عناقه , و أهدته لذة الأبوة فرأت فى عينيه اشتياقه لها ,تركت يوسف أهدته جرح جديد , علقته بها و أعطته أمل و ذهبت بعيدا , أبعد من رحلة

يقطعها بالطائرة ليأتى لها , لكن تركت له ذكرى لن ينساها , أهدته فكرة أن كل النساء لسن بكارلا , أهدته الأمل .

و أهدت كارلا أملا جديد ربما تحارب من أجله لتفوز بقلب يوسف المجروح فتطبق عليه لتوقف نزيف الألم فيه .

أهدت أمه راحة القلب على وحيدها بعد أن رأت ابتسامته تعود , و عاشت حلاوة كلمات و دعوات الأم التى كانت محرومة منها , كم تمنت رؤية أمه و كم تخيلت مسحة يدها على رأسها , رحلتى يا نورا قبل أن تنالى دفء صدر ماجدة أم أسيرك , أسيرك الذى عشق أسرك عن التحليق .

حتى من لم ترهم أهدتهم ولم تنساهم , أهدت ريم قلب أنور بعد أن أنهت بحبها أمل ريم فى يوسف , فأهدتها عاشق حق , أهدتها حب أنور الذى لولاها فى حياة يوسف ما باح بحبه لريم , و أهدت أنور الأمل , أهدته راحة البوح بالعشق .

تركتى مها يا نورا , آه يا مها كم ملأتى حياة نورا، وكم ملأت حياتك , الآن يا مها ستنادى ونورا لن ترد, سيدق الهاتف لكن لن تجيب عليكِ, جمعتك مع يوسف و محمود و زوجته و رحلت هى وحيدة , أهدتك أبناءها و تقاسمت معك ضحكاتهم و رحلت هى فى صمت , أهدتك العائلة و الدفء و رحلت عنك يا مها , كم مشفقة عليك نورا يا مها من الوحدة فلم ترحل إلا بعد ان أهدتك عائلة جديدة .

يجلس جانبها على الأرض يمسك يدها الصغيرة يلفها على عنقة باكيا , يدا لا تقاوم و لا تستجيب , يقبل يدها الباردة ,يضمها له , يوم كان هذا الجسد يضمه كان هو لا يبالى ،واليوم هو الذى يضمه و لكنه بارد لا يستجيب , منحها كل ما تمنته منه لكن دون جدوى .

فارقت نورا الحياة , قدر ما تمسكت بالحياة قدر ما لم تتمسك بها الحياة , نورا جمعت يوسف بمها و محمود و Kate و أعادت زوجها لأبنائه و أخته , و دلت ريم على أنور و غادرتهم هى , زرعت بينهم الحب و تركتهم , و كأنها سبب لا نتيجة .

وداعا لكل روح حلوة فارقت الحياة على أمل فى حياة أفضل , و تحية لكل روح محبة تكترث للأشخاص و المعنى لا للأماكن والمادة .

وداعا نورا وداعا يا روح محبة باحثة عن الحب ...

"ظلت طيلة الحياة تنشد الحب و يوم جاءها الحب فارقتها الحياة"

تمت

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

obeikandl.com